أ. أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِـلْـمٌ يُـنْـتَـفَـعُ بِـهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

/https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الأول

ألقي عام 1429ه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كنا سابقًا قد حددنا موضوع الأمثال كموضوع للدراسة، وانتهينا بفضل الله، والآن سيبقى موضوعنا التفسير لكن سيكون مختارات من آيات، نفسر فيها آيات يكثر ترددها، ويكثر الاستشهاد بها.

سنبدأ بشرح {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}[1] وهي من أكثر ما يحقق هدفنا هذا، والمعوذات عمومًا تحقق هدفنا هذا وهو فهم ما نكرر قراءته ونستعمله ونحن أحوج إلى العلم به أكثر من حاجتنا إلى الطعام والشراب، لكثرة استعمالنا له ولكثرة ترداده وانتظار النتائج من ورائه، فكان لابد من فهمه فهم دقيقًا يقينيًا.

سأبدأ أولًا بالكلام حول هذه الكلمة ألَّا وهي كلمة: **"المعوذات والاستعاذة"**.

ونشرح من هنا عبادة من أعظم العبادات وهي عبادة الاستعاذة التي يظهر فيها التوحيد جليًا، بل هذا النوع من التوحيد كانت العرب تفقده فقدًا ظاهرًا، ولما أتى الإسلام أرشد الإسلام العرب إلى هذا النوع بعينه من التوحيد، كما في سورة الجن لما وصف الله -عزَّ وجلَّ- حال العرب حين ينزلون إلى الأودية {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}[2] فهذا النوع من الشرك لا يُشعر به حال وقوعه، فإن الخائف يبحث عن المخارج دون أن يستعمل عقله الظاهر، والمعنى: **أن ما قام في قلبه من اعتقاد يظهر وقت خوفه؛ من هنا يتبيَّن لك أهمية الكلام حول الاستعاذة؛ لأن الاستعاذة عبادة تظهر وقت الخوف.**

---

[1] () الناس: 1.

[2] () الجن: 6.

ومَن هذا الذي يوفق وقت الخوف ويسدّد؟! مَن هذا الذي ينشرح صدره في الأزمات ويتبيَّن له حقيقة الأمر؟! غالبًا في الأزمات تفقد حتى المرشد الناصح حولك!

إذًا سنتكلم عن الاستعاذة، ونتكلم عن الخوف، ونتكلم عن أسماء الله التي وردت في سورة الناس في هذا اللقاء إن شاء الله، والقادم نتكلم عن سورة الفلق.

نبدأ بتعريف الاستعاذة.

معنى الاستعاذة هو: طلب العوذ.

قال العلامة ابن القيم[3]: اعلم أن لفظة "عاذ" وما تصرف منها تدلَّ على التحرز، والتحصن، والنجاة، وحقيقة معناها: الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه؛ ولهذا يسمى المستعاذ به معاذًا، كما يسمى ملجًأ.

إذًا الاستعاذة أتت من العوذ، وهو طلب النجاة، ولطلب النجاة لابد أن يكون هناك شيءٌ تخافه، وأحد تثق أنه سبب لأن يعصمك؛ يعني في قلبك هناك خوف، وفي قلبك هناك من تثق به.

هناك من تخاف منه وتثق به:

- فأمَّا ما تخاف منه فهو كثير وإن كان له رؤوس.

- وأمَّا من تثق به تمام الثقة وله الفزع لما ترى منه من صفات الكمال، ولما ترى من جميل الإنعام عليك من قبله لا يكون إلَّا الله؛ وهنا يكون التوحيد؛ لأن الاستعاذة تدلَّ على ما في قلبك من مشاعر تجاه المستعاذ به.

---

[3]() تفسير ابن القيم.

فالمستعاذ به لابد أن يكون في قلبك موصوف بصفات الكمال، وتعلم أنك إذا لجأت إليه وجدت مخرجك، ووجدت أمانك، ووجدت مرادك؛ ولهذا تجد أن الاستعاذة تكون بأسماء الله.

الآن لو نظرت إلى سورة الناس تجد ثلاثة أسماء من أعظم الأسماء موجودة في هذه السورة القصيرة، ويطلب منك أن يتم اعتقادك في هذه الثلاثة أسماء من أجل أن تنفعك الاستعاذة كما ينبغي؛ هذا كلام مجمل عن المستعاذ به.

نأتي للركن الثالث في فهم الاستعاذة. الآن هناك ثلاثة أمور يجب أن تفهمها في الاستعاذة:

- **معنى الاستعاذة.**
- **معرفة المستعاذ به.**
- **معرفة المستعاذ منه؛ يعني المخوفات.**

فإذا كان المستعاذ به واحد، فالمستعاذ منه قد لا نستطيع الإتيان في تعداده عليه، يعني لا نستطيع أن نعدّه عدًا فقط وليس شرحًا وتفصيلًا! لماذا؟ طبعًا هذا لكثرته، لكن مَن وراء هذه الكثرة؟ وهل هي متعددة أم لها رؤوس؟

سنقول المستعاذ منه له نوعان:

- **نوع حقيقي** يجب أن تخاف منه، وتحمل همه، وتستعمل معه الاستعاذة على وجه العموم، وتتعبد الله بهذه العبادة ألَّا وهي عبادة الاستعاذة.

- **نوع وهمي** وراؤه الشيطان وراؤه شياطين الإنس والجن، وراؤه ضعف الاعتقاد، وقلة اللجوء إلى الله والتعلّق بالدنيا.

إذًا المستعاذ منه نوعان:

- حقيقي يستحق أن تستعيذ ويستحق أن تخاف.
- ونوع وهمي عظّمه الشيطان في قلبك.

نبدأ بالحقيقي:

- رأس الأمور الحقيقية التي يستعاذ منها: **"الشرك"**.

ففي الحديث الذي رواه البخاري في الأدب المفرد عن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **(يَا أَبَا بَكْرٍ، لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلِ الشِّرْكُ إِلا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟ قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا أَعْلَمُ)**[4].

الشاهد: (أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ) فهذا أمر حقيقي يستحق أن تخاف منه، وقُدِّم لك أن الشرك أخفى من دبيب النمل، معناه أنه يدب إلى قلبك وأنت لا تشعر، وكثيرون ممن يتعاملون مع هذا النوع من الشرك حال مناصحتهم ومناقشتهم وحال تبيين الشرك لهم تراهم يعترضون، ولا يتصورون أن هذا نوع شرك! هذا مبنيٌ على خفائه عندهم؛ أي عندما يقول النبي: **(لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ)** معنى ذلك أن هذا أمر لابد أن تتصوره، وتتصور مقدار الخفاء، ثم تتعلم من أجل أن تتوقّى، وتستعيذ من أجل أن يحميك الله.

---

[4]() صححه الألباني.

على كل حال، مقصدنا أن هذا نوع حقيقي من المخاوف، فالشرك فيه الجليّ وفيه الخفيّ، وحتى الخفيّ من الشرك درجات، يصل إلى حد أن يكون خفيّ كخفاء دبيب النمل، حتى أنه لخفائه قد يقع فيه العبد، ويتسلل إلى نفسه وهو لا يعلم، وهذا يوجب له شدة الحذر منه، وضرورة معرفته ليتقيه ويجتنبه.

ويسبب له أيضًا العبادة العظيمة عبادة الاعتصام والالتجاء إليه ليعصمه من الشرك بأنواعه، ويقيه من شره وشر عواقبه الوخيمة.

 أيضًا من بين الأمور التي تشتد حاجتك للاستعاذة منها وهي حقيقية: **"الضلال"**.

في حديث رواه مسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ: **(اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أنت أَنْ تُضِلَّنِي الْحَيُّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ)**[5].

هنا التعوذ بالله من الضلال، وهو: الانحراف عن صراط الله المستقيم، وسبيله القويم، ودينه الحنيف؛ وفيه يقول العبد -وهو الشاهد-: **(أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أنت أَنْ تُضِلَّنِي)** وهذا يدلّ أن الهداية والضلال بيد الله، وأنه -سبحانه- يختبر ما في قلوب العباد ليييسر لهم أسباب الهداية، وييسر لهم أسباب الضلال **{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}**[6]، **{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}**[7]، **{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى}**[8].

المعنى أن الضلالة مما يستعاذ منه، **والمطلوب هنا أن تطلب من الله أن يعصمك من الضلال بأن يعصمك من أسبابه**.

هذه كلها مخاوف حقيقية تستحق منك الاستعاذة.

---

[5]() أخرجه مسلم (2717).

[6]() البلد: 10.

[7]() الصف: 5.

[8]() محمد: 17.

 أيضًا ورد في الحديث: **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ من الْعجْزِ والكَسَلِ وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ، وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيا وَالمَمَاتِ)**.

هذا الدعاء المبارك اشتمل على الاستعاذة من سبعة أمور، وكلها مخاوف حقيقية يجب أن تخاف منها:

 الأمر الأول: تستعيذ بالله من العجز وهو: ضدّ القدرة، والاستعاذة من العجز سببها الخوف عن القيام بمهمات العبادات، والعجز عن القيام بمهمات العبادات ناشئٌ من ارتكاب الذنوب؛ **لأنها توجب لمرتكبها توالي العوائق وتسابق الموانع إليه.**

المعنى: أن الذي يطلب من الله أن يعيذه من العجز يسأله -سبحانه- أن يجيره ويمنعه من أسباب الذنوب، فإذا وقع الذنب تلاه العجز عن العبادة، فالعجز عن العبادات ناشئٌ عن ارتكاب الذنوب.

 الأمر الثاني: الاستعاذة من الكسل.

والكسل هو الفتور الذي يقع في النفس، والتثاقل عن صالح الأعمال مع القدرة عليها، إيثارًا لراحة البدن، وهذا سببه: عدم انبعاث النفس للخير، ضعف الرغبة في الخير، هذا بنفسه -الكسل- سببٌ لوقوع العجز، فأنت يكون لديك القدرة أن تقوم بالعمل لكن تتركه لعدم إرادته، فيحصل لديك العجز، وهو أن تأتيك الصوارف عنه.

ولهذا اقترن العجز بالكسل، فالعجز ثمرة الكسل، وكثيرًا ما يكسل المرء عن الشيء الذي هو قادر عليه، وتضعف إرادته فيفضي به هذا إلى العجز عنه؛ عقوبة له.

لذلك نحن كثير ما نلوم الشباب عندما تُفتح لهم فرص لطاعة الله، ولعبادته، وللدعوة إليه، ولخدمة المسلمين، ثم بعد هذا ينظرون إليها مستغنين عنها! ثم في نهاية الأمر يعجزون عقوبة؛ لأن **العجز عقوبة على الكسل.**

لماذا الكسل والعجز أشياء حقيقية يجب أن تخاف منها؟ لأنهما يمنعان العبد من أداء الحقوق الواجبة عليه، ومن تحصيل مصالحه النافعة له، ومن اغتنام شبابه، ومن اغتنام عمره.

الأمر الثالث: استعاذ النبي -صلى الله عليه وسلم- من "الجبن والبخل" وهم قرينان، فإن الإحسان يُفرِح القلب، وضدّه الجبن والبخل.

فالجبن ترك الإحسان بالبدن.

والبخل ترك الاحسان بالمال.

أي أن الجبان شخص عنده القدرة على القيام بكذا، عنده القدرة على تعليم كذا، تعليم هذه الحرفة، تعليم هذه المعلومة، إصلاح بيت فلان إلى آخره فيجبن عن مواجهة الموقف، فهذا ترك الإحسان بالبدن.

وأمَّا البخل فترك الإحسان بالمال.

الحقيقة نحن نواجه من أنفسنا، ومن أبنائنا ومن شبابنا حالات مستعصية من الجبن، وغالبها تنتج في النهاية حبس النفع، فتجده حقًا يملك ما ينفع به إخوانه، ويصلح به مجتمعه، ويسدّ به ثغرة تناسبه وتناسب قدراته، لكنه يجبن ويبخل؛ ولهذا دائمًا ننصح أبناءنا وبناتنا أن يبذلوا جهودهم في معرفة قدراتهم، ويجربوا أنفسهم فيما يحسنوه فيلزموه، الإشكال عندنا أن الجماعة ينقسموا إلى طرفين ووسط:

- طرف يريد أن يدخل في كل شيء يليق به أو لا يليق.

- وطرف لا يريد أن يدخل أي شيء لأن كل تفكيره أن لا يفشل، بمعنى أنه يعتني جدًا بنظره إلى نفسه.

■ والوسط: يدرب نفسه يدخل في الفرصة التي تحققت له، التي أتت عنده، ويجرب ثم يرى النتائج بمقياس صحيح، مبني على العوامل التي تدخلت في ذلك.

المقصود أن الجبن والبخل من الأمور التي يستعاذ به، وتستحقّ الاستعاذة، فإن الإحسان المتوقع من العبد أمَّا يكون بماله، أو يكون ببدنه، وبفكره وبما أعطاه الله -عزَّ وجلَّ- من قدرة، فإذا بخلت بهذا وهذا تركت من فرص الرقي والارتفاع وتثقيل الميزان عند الله الشيء الكثير.

□ الأمر الرابع: الاستعاذة من الهرم.

وهذه استعاذة حقيقة، والهرم هو: البلوغ في العمر إلى سن تضعف فيه الحواس والقوى ويضطرب فيه الفهم والعقل، وهو أرذل العمر، أمَّا مجرد طول العمر مع سلامة الحواس وصحة الإدراك فهذا مما ينبغي الدعاء به للحديث الذي رواه أحمد والترمذي وصححه لغيره الألباني -رحم الله الجميع-: **(خَيْرِ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ، شَرّ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ)**.

فالمقصود بالهرم هنا: طول العمر مع فقدان العقل وفقدان الحواس، فهذا الذي يستعاذ منه ويخاف منه ويخشى من وقوعه.

□ الأمر الخامس: الاستعاذة من عذاب القبر.

□ الأمر السادس: الاستعاذة من فتنة المحيا.

□ الأمر السابع: الاستعاذة من فتنة الممات.

وهذه أمور يطول نقاشها لكن المقصود عمومًا أن هذا مما يُحمل همه، وتجد ثُقله في قلبك، فأنت طوال الحياة معرضٌ للافتتان بالدنيا والشهوات، ومن أعظم ما تخشاه من الفتن: أمر الخاتمة عند الموت، وأمَّا فتنة الممات:

فأمَّا يراد بها: الفتنة عند الموت.

أو المقصود بها السؤال الذي يكون في القبر.

لأنه إذا كنا نتصور أن فتنة الممات هي ما يأتي بعد الممات سيكون هناك تكرار بينه وبين عذاب القبر.

- لكن عذاب القبر مرتب على السؤال.

- وفتنة الممات هي فتنة يكون بسببها عذاب القبر، والفتنة بنفسها أمر عظيم.

على كل حال، وقت الموت وقت من أشد الأوقات التي يكون الإنسان فيه بحاجة إلى ربه، وعدو الله أحرص ما يكون على ألَّا يختم لعبد الله المؤمن بالخاتمة الحسنة الطيبة.

وفيما ذكر ابن الجوزي عن مناقب الإمام أحمد في كتابه "مناقب الإمام أحمد": قال سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلَ يَقُولُ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبِي الْوَفَاةُ جَلَسْتُ عِنْدَهُ وَبِيَدِي الْخِرْقَةَ لأَشُدَّ بِهَا لِحْيَيْهِ فَجَعَلَ يَعْرَقُ، ثُمَّ يُفِيقُ، ثُمَّ يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ، وَيَقُولُ بِيَدِهِ هَكَذَا، لا، بَعْدُ، فَفَعَلَ هَذَا مَرَّةً وَثَانِيَةً "، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ، قُلْتُ لِهُ: يَا أَبَتِ أَيَّ شَيْءٍ هَذَا قَدْ لَهَجْتَ بِهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ؟ تَعْرَقُ حَتَّى نَقُولَ قَدْ قُبِضْتَ، ثُمَّ تَعُودُ فَتَقُولُ: لا، لا بَعْدُ، فَقَالَ لِي: " يَا بُنَيَّ مَا تَدْرِي؟ قُلْتُ: لا "، قَالَ: " إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ قَائِمٌ حِذَائِي -يعني في محاذاتي -، عَاضٌّ عَلَى أَنَامِلِهِ، يَقُولُ لِي يَا أَحْمَدُ فُتَّنِي؟، فَأَقُولُ لَهُ: لا، بَعْدُ حَتَّى أَمُوتَ " .

فهذا مما اشتهر عن الإمام أحمد -الله أعلم بصحته- لكن المقصود كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري: " **(وإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا)**[9] فهو أمر يخشى منه ويستعاذ حقيقة.

إذًا المعنى: أن الاستعاذة تكون من أمور حقيقية كما ذكرنا: الشرك، الضلال...هذه السبعة أمور التي ذكرناها، وغيرها في أحاديث كثيرة، مثل قول النبي:

 (اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا) إلى غير ذلك مما يستعاذ منه.

هذا كله في دائرة المستعاذ منه الحقيقي، يأتي على رأس هذا الحقيقي الاستعاذة من الشيطان الرجيم خصوصًا حال قراءتك للقرآن، فإن الشيطان عدوك المتربص بك حريص على أن لا تنتفع من كلام الله، ووقت ما تريد أن تناجي ربك بكلامه يشتتك، ويشغلك، ويصرفك ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

فما الحل؟ الاستعاذة؛ ولهذا اقترنت بأوائل السور، **فإن المستعيذ في قلبه قوة حب لمناجاة الله بكلامه، وعدوه متربصٌ به، وربه قريب مجيب عظيم فيلجأ إليه طالبًا منه أن يدفع عنه شر هذا الشيطان، ليصلح من هذا العبد مناجاة ربه،** المهم هذا كله دائر في المخاوف الحقيقية، نأتي للنوع الثاني من المخاوف:

المخاوف الوهمية

بقي أن ننتقل إلى المخاوف الوهمية التي يحتاج الإنسان أن يستعيذ بالله منها، هذه المخاوف الوهمية لها مصدر واحد مشترك، ما هو المصدر؟ الشيطان.

نضرب أمثلة على المخاوف الوهمية، والحقيقة هي كثير على عدد نفسيات الناس وحيل الشيطان؛ لأن الشيطان يحتال على ابن آدم ليضعف عليه دينه، والتعلّق بالله،

---

[9]() أخرجه البخاري (6493).

ويُذهب عنه انشراح الصدر، ويورثه التشتت، فأنت سائر إلى ربك والشيطان يأتي يشتتك عن طريق الله لكن لفعل الشيطان هذا صور بعدد نفسيات الناس ومخاوفهم وهمومهم.

نذكر من أهم المخاوف الوهمية التي تحتاج أن تستعيذ بالله منها:

- الخوف من المرض.

- الخوف من الفقر؛ ربما هذا على رأس المخاوف المنتشرة، يصاب الإنسان بوسواس تجاه مستقبله ومستقبل أبنائه.

ويصاب الإنسان أيضًا بوسواس قوي تجاه مسألة المرض، والخوف من أن يكون مصابًا بمرضٍ خطير يصعب علاجه، أو يكثر الكلام عنه وعن الموت من ورائه، وهذا بعينه وسواس آخر؛

- وهو وسواس الخوف من الموت، ويأتي الإنسان بصورة أفكار، اندفاعات، مخاوف.

إذا تحول إلى وسواس قهري يأتي معه طقوس حركية مستمرة، ومشكلة هذا النوع من الوسواس الوهمي أن صاحبه يتفق معك أن هذه الأفكار التي في ذهنه تافهة وغير معقولة، ويحاول هذا الشّخص أن يقاوم هذا الوسواس ولا يستسلم له لكن مع طول المرض، وطول سيطرة الشيطان عليه، تضعف درجة المقاومة.

على كل حال، هناك عوامل كثيرة تسبب هذا النوع من الوسواس، لكن لابد أن تنظر إلى الموَسوَس به من أجل أن تفنّده، وتتقيه، وتتقي التفكير فيه، وتطلب من الله في هذا الموَسوَس به أن يعيذك ويحميك من الشيطان الذي يدفعك إلى التفكير، إذا تحول الأمر من مجرد خواطر إلى وسواس قهري هذا في الحقيقة يحتاج إلى نقاش أسأل الله أن ييسره خلال هذه اللقاءات، لكن سنتكلم عنه لمجرد وسواس لم يصل إلى حد أن يكون قهري.

ما السبيل إلى الخلاص من الوساوس والخطرات التي إنما هي نزغات من نزغات الشيطان ومكيدة من مكائده؟

أنت الآن قبل أن أكلمك عن العلاج التفصيلي، لا بد أن يكون عندك مقدمة علمية، تفهم بها:

كيف تدخل هذه المخاوف الوهمية أصلًا على الإنسان:

- الناس يبتلون بتجارب هذا نوع.
- أو بنقاط ضعف في شخصياتهم، في بنائهم النفسي.

يعني إمَّا كانت هذه إفراز تجربة عاشها الإنسان أو نفسية هذا الإنسان أتت بها شيء من المخاوف وترك فنشأ عليها.

فلو أتيت إلى شخص مثلًا اعتنى بمريض من الأمراض المستعصية زمنًا طويلًا، ورأى تطور حالته، بدايتها وتطورها، ثم موت هذا الإنسان سواء كان قريبًا أو حتى ليس شرطًا قريبًا، هذا ممكن أن يتعرض له الناس الذين يعالجون بصورة استشفائية في المستشفيات، هذا النوع الذي يتعرض الإنسان له من تجربة كما مر معنا الآن؛ أنه يكون يطبب أحدًا، ويرى مراحل تطوره، يمر بتجربة من أجل ذلك تبقى في ذهنه آثار هذه التجربة، ويتحسس من كل بدايات تشبه البدايات التي مر بها هذا المريض الذي هو قريب له، إلى أن تجده يخاف من كل شيء، ولو كان يسيرًا!

مَن يفعل معه هذا الأمر؟ الشيطان؛ يزيد في أوهامه، أو يكون هذا الأمر المذكور أتاه نتيجة ضعف في بناء نفسيته، يعني هو الآن لم يمر بتجربة لكن دائمًا خائف عنده خوف من المجهول، خوف من الموت، خوف من أي شيء، هذا كان المفترض في صغره أن

يربّى على يد أشخاص يعالجون هذه المسألة بالتفصيل، وطبعًا في الصغر هذه المسألة أهون منها في الكبر.

ماذا نحتاج الآن؟

خطوة أولى في العلاج: لابد أن تعرف ما هي حياة القلب ومادته، من أجل أن تعالج هذه الحالة لابد أن تكون مدركًا كيف يحيا القلب؛ لأن الشيطان سيأتيك على قلب له مواصفات معينة:

- حياة القلب وصحته لا تحصل إلَّا بإدراكه للحقّ؛ لأن الجهل بوابة الفساد، والقلب إذا لم يدرك الحقّ حتمًا سيحوي الباطل ولابد.

- وأيضًا تحصل حياة القلب بإرادة الإنسان للحقّ، فحين يدرك الحقّ ويعلمه لكنه غير مريد له فأنّى له أن يحيا؟! لابد أن يدرك الحقّ ولابد أن يريده.

- والأمر الثالث من أجل أن يحيا القلب: لابد أن يؤثر الحقّ على غيره، فحين يدرك الحقّ ويريده لكنه يؤثر هواه ونفسه الأمارة بالسوء على الحقّ فهذا مازال متخبطًا في ظلمات التّيه.

إذًا مدار كل القضية: (الحقّ) والحقّ هذا مثل الروح، لن يجد القلب له أمانًا ولا قرارًا ولا اطمئنانًا إلَّا حين يسري فيه هذه الروح، والروح كما تعلم هي الوحيّ، قال تعالى: **{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا}**[10].

والله -عزَّ وجلَّ- سمّى القرآن (روحًا) وسمّاه (نورًا) وسمّاه (هدىً) فالروح والنور والهدى هذه مادة الحياة الحقيقة، كل هذا يدور حول الحقّ؛ أنت **قلبك يحيا أو يموت،**

---

[10]() الشورى: 52.

يكون بيتًا لذكر الرحمن أو يكون بيتًا للشيطان على حسب معرفتك للحقّ، كلّما عرفت الحقّ كلّما كان قلبك أكثر حياة.

وبالعكس فساد القلب سيكون بالجهل والغفلة واتباع الهوى، **فبقدر جهل العبد بربه بقدر ما يشقى القلب ويتعس بسبب الجهل،** وعندما يبعد القلب عن العلم بالله -عن مادة الحياة- التي تحييه لابد أن يتسلط عليه الشيطان بأنواع المكائد والوسوسة.

والشيطان أعظم ما يتسلط به على الإنسان إنما يكون بسلاح الوسوسة؛ ولذلك قال تعالى: **{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ}**.

وهذا الأسماء العظيمة كلها تجتمع لتبيِّن لك أنك بحاجة إلى عزم حقيقي داخل قلبك من علم بالله، ومن بقاء التّنبه، وإرادة الخير، ومن إيثار الخير على غيره من أجل أن يعيذك من شر هذه الوسوسة.

إذًا هاتان مقدمتان الآن:

- حياة القلب ومادته بإدراك الحقّ وإرادته، وإيثاره على غيره.
- وفساد القلب بالغفلة والجهل واتباع الهوى.
- نذكر أيضًا مقدمة ثالثة في الكلام حول الشيطان ومكائده؛ ونبدأ بفهم معنى الوسوسة.

هذه الكلمة ما معناها أصلًا؟ الوسوسة هي: حديث النفس والصوت الخفي وهي مكيدة الشيطان، الذي سماه الله -عزَّ وجلَّ- في سورة الناس وذكر وصفًا صريحًا له **{الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ}**، وصفًا واضحًا في وصف الشيطان.

ما مكيدته؟ يخلط الأمور بعضها ببعض حتى ما كاد يتبيَّن وجه الحقّ فيها إلَّا لمن عصمه الله -عزَّ وجلَّ- من كيده ووسوسته.

إن إدراك تسلط الشيطان، ونزغاته، ووسواسه، ومعرفة حقيقته وطبيعته، يجعل المرء واعيًا ويعينه على إدراك طبيعة النزغات الشيطانية، والله -عزَّ وجلَّ- في كتابه كرر لك وأعاد وشدد عليك في الحذر من مكائده، كما أنه شدد عليك وأكثر من التحذير من النفس والهوى لكن التحذير الأكثر كان من مكائد الشيطان.

لو سألنا الآن: ما العلاقة الآن بين مكائد الشيطان وهوى النفس؟

نقول: **هوى النفس مركب وسوسة الشيطان،** مركبه وموضعه ومحل طاعته ومحل شر طاعته هوى النفس.

أنت تعلم أن الله -عزَّ وجلَّ- أخبر بوجود إبليس، وأن وجوده إنما وجوده هو وجود فتنة وإضلال لبني آدم، وأخبرك أيضًا في القرآن عن ترصده، وأن الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان عندما يهمَّ بالخير أو يدخل فيه بأي درجة من درجات الخير؛ وجاء في المسند:

(إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ، وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ: تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ، فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ وَيُقْسَمُ الْمَالُ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ..)[11].

وهذا يدلّ على أن الشيطان يتربص للإنسان عند الطاعات، وقد ورد في آية الأعراف أنه توعد بني آدم **{ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ}** وفي

---

[11]() صححه الألباني.

كل هذا يريد أن يخرجهم بمخرج واحد {وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}[12] فتجد أن غالبهم يكفرون بنعمة الله لكن تنبه إلى حقيقة سلطانه، وأن ليس له سلطان على الذين آمنوا {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}[13] فالذين آمنوا وتوكلوا - وهذا العمل- ليس للشيطان سلطان بمعنى أنه ليس له حجَّة ولا برهان، إنما السلطان منه هو الإغواء والوسوسة.

إذًا {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ} سلطانه على الذين هم يتولونه، هم تقع منهم الولاية له، كيف يتولون الشيطان؟! باتباع الهوى، والاستجابة لداعيه، بالغفلة عن ذكر الله.

وأيضًا يوجد صنف آخر {وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ}[14] وهم طائفة أشد ضلالًا.

نتكلم عن الذين يتولون الشيطان، هؤلاء يتولونه باتباعهم هم له، وباتباع هواهم، وافهم جيدًا أن ليس له سلطة إلَّا سلطة الإغواء والنزغ، ليس له حجَّة وبرهان.

إذًا أنت الآن أمامك ثلاث مقدمات:

- عرفت حياة القلب.
- عرفت موت القلب.
- عرفت عدوك وهو الشيطان.

نأتي نقول لك: أنت الآن بحاجة أيضًا أن تشعر بضرورة العلاج، وحاجتك للشعور بضرورة العلاج يأتي من إدراكك أن هذه الوسوسة إنما هي كيد الشيطان ونزغاته، فإن

---

[12]() الأعراف: 17.

[13]() النحل: 99.

[14]() النحل: 100.

هذا الإدراك هو بداية الطريق في صدّ هذا الكيد ودفعه، فإن الإنسان حين لا يدرك أن هذا من كيد الشيطان ووسوسته فإنه لا يزال الشيطان به حتى يصرعه أسيرًا للوسوسة، ويأتي من هنا الوسواس القهري.

الحقيقة أن الكلام عن الوسواس القهري يحتاج إلى تجرد، سأذكر ما يتيسر لي من أمورٍ حوله لكن الأمر يحتاج إلى دراسة أكثر، وأيضًا إلى تجرد نفسي أكثر، بمعنى أن الذي يستقبل الكلام يحتاج أن يستفيد منه، ويبذل جهوده أن ينتفع دون أن يحدث له وسواس أكثر، بمعنى أن أحيانًا الشخص لا يكون أصلًا ملتفتًا إلى أنه موسوس، أن عنده وسواس، ويظنَّ أن هذه حالة طبيعية عادية، مع النقاشات يتبيَّن أنه مصاب بوسواس يصل لحد أن يكون قهري وهو لا يشعر!

المهم أن الوسواس القهري هذا مرض من الأمراض -الظاهر والله أعلم- النفسية، وصاحبه يكون قبل المرض متصفًا بصفات، يعني هناك صفات يتصف بها الشخص تجعله مهيَّأ للإصابة بالوسواس، يسمونها "الشّخصية الوسواسية" ليس شرط أن تجتمع كل هذه الصفات التي سأكلمك عنها لكن بعضها يكفي!

بعض صفات الشّخصية الوسواسية:

- من أول الصفات: العناد، يعني من كان من صفته العناد يكثر أن يصاب بمثل هذا المرض.

- أيضًا حب الروتين الزائد، والتدقيق، وملاحظة الأمور التافهة، هذا أيضًا مُعرض أكثر للإصابة.

- أيضًا من يكون من وصفه أنه شديد التأنيب للضمير الذي يسمونه بعد أن يحصل تطور له "جلد الذات".

 كذلك الشّخصية الجافة، العابسة، التي تنظر إلى كل شيء على أنه مهمات يجب الخلاص منها.

 أيضًا من يغيب عنه الشعور بالأمان.

 كذلك تجد أشخاصًا مع أنهم أذكياء، وذكاؤهم فوق المتوسط، لكنهم في الأحداث الطارئة والمفاجئة لا يعرفون أن يتصرفوا، يعني لا يحسن تصرفًا، هذا من الصفات الشّخصية، يعني في شخصيته مستعد مثل هذا أن يصاب بالوسواس.

أحيانًا يكون الشّخص ربّي على يد موسوسين فينتقل إليه الوسواس، المراهقين في العادة أكثر عرضة للوسواس، من أن يأتي سن البلوغ يأتي كيد الشيطان.

أهم صفات الوسواس القهري: أنه يوجد في ذهنه وساوس وكلام رغمًا عنه، والغالب أنها تكون غير سارة، وتكون ملازمة للمريض، وتسبب له الهمّ والغمّ، رغم قدرة المريض على التعرف عليها، وهو واع أنها تافهة وخاطئة إلَّا أنه لا يستطيع إيقافها.

يعني الذي يفرَّق بين المريض العقلي والمريض النفسي هنا في مسألة الوسواس:

 أن المريض النفسي يدرك أن هذا الشيء يكون تافه.

 في مقابل أن المريض العقلي يقتنع أن هناك أمر حقيقي، يقتنع ويحاول أن يقنع الآخرين، يصّر على رأيه ويحاول أن يقنع الآخرين أن هناك أمر خطير.

صاحب الوسواس يحاول جاهدًا أن يهمل أو يكبت هذه الرغبات أو الأفكار أو الخيالات، أو يحاول أن يعدلها برغبات وأفكار مضادة، يريد أن يأتي بأشياء ضدّ من أجل أن يذهب الأولى، وهذا مما يترتب عليه معاناة نفسية واجتماعية طويلة.

نضرب أمثلة لأنواع الوسوسة ومظاهرها:

 نبدأ بوسواس الأفكار: فكرة معينة تسيطر على المريض سيطرة تامة، تسيطر على المريض بسبب خوفه من شيء معين أو تعلّقه بشيء معين.

مثلًا امرأة تخاف أن يتزوج عليها زوجها، فطوال الوقت تسيطر هذه الفكرة على عقلها، والشيطان ماذا يفعل بك؟ يجربك، إذا كان مركب هواك قويًا ويدفعك؛ ركبه ودفعك! جدّف بكل ما يملك من قوة من أجل أن يدفعك ويضيعك، مثلًا آخر خائف من الفقر، أو خائف من الفصل من الوظيفة، وآخر خائف من أن ينقص عليه شيء في ماله، أو آخر عنده وسواس المرض.

ووسواس الأفكار سببه: ضعف العلم عن الله مع وجود عامل آخر مثل: التعلق بشيء، الخوف من شيء، وشدة التعلق بشيء أو شدة الخوف من شيء تجعل هذا الإنسان موسوسًا طوال الوقت.

فأنت تجد مثلًا طفلة صغيرة في سن المراهقة تدخل المجلس طوال الوقت تقول: أنتم تتكلمون عنّي! يأتي في فكرها أن هؤلاء يتكلمون عنها، أن هؤلاء يتكلمون عنها وهؤلاء ينتقدوها، وهؤلاء يبغضوها، ولا يوجد أحد يحبني، هذه الفكرة طوال الوقت تتردد عليها، وتتملكها، وتبدأ تفسر كل شيء عليها! وطبعًا على ذلك ستدخل أشياء كثيرة مثل سوء الظن وإلى آخره، لكن سوء الظن لو أتي مرة أو اثنين على أشخاص مفترقين على أوضاع معينة لا يسمى "وسواس قهري" لكن يسمى وسواس من الشيطان طبعًا، لكن يسمى "قهري" عندما يكون مسيطرًا عليه هذا الأمر، طوال الوقت يفكر بهذه الفكرة!

المشكلة أن الموسوس يتعذب والذي يعامله يتعذب، فترى الناس ينفرون منه، يقولون: أنت موسوس، لا نستطيع أن ننجح في التعامل معك، زوجها يقنعها أنه لا يفكر في أن يتزوج، مشاغله كثيرة، وهو لا رغبة له في ذلك، ومع ذلك يسيطر عليها فكرة أنه سيتزوج وتتحول حياتها إلى جحيم، إلى آخر ما تتصور من وسواس الأفكار.

 أيضًا المرض، المرض هذا شيء خطير، الغالب أن هؤلاء ينهكون أنفسهم وأبدانهم، ويفقدون القدرة على القيام بأي شيء مفيد لأنفسهم ولأبنائهم، ولا يستطيعون نفع أنفسهم بما أعطاهم الله من صحة، يذهبون صحتهم بأفكارهم.

 أيضًا هناك وسواس الصور: يكون هذا الشّخص سيطرت عليه صورة معينة بشكل مستمر ومتكرر، وغالبًا تكون هذه الصور عنيفة أو مقززة، مثلًا صورة حوادث، صورة جثث، قتل، دماء إلى آخره، أمَّا أن يكون رآها، موقف عاشه أو تكون من خياله، ورغم علم المريض أنها هي الآن غير موجود إلا أنها تطارده، في كل وقت تأتي في مخيلته، ماذا تفعل به؟ تذهب عنه راحة البال طبعًا، وتقتل فيه أي متعة في الحياة، أو حتى أي لحظة صفاء يعيشها في الحياة.

 هناك أيضًا وساوس الاجترار: تسيطر على المريض أسئلة متكررة لا يستطيع الإجابة عليها؛ لأن هذا باب بالنسبة له مغلق، ميؤوس من معرفته، كمعرفة كيفية صفات الله، أو أحيانًا مبدأ التسلسل؛ الله -عزَّ وجلَّ- خلقنا لكن من خلق الله؟! هذه الكلمة الفاسدة التي يلقيها الشيطان في قلب الإنسان، ويطبّق الإنسان فيها قوانين الأرض على الله، وعقله لا يستطيع أن يتصور إلَّا شيء أتى من شيء، ولا يفهم ما معنى أنه الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء -سبحانه وتعالى- فمثل هذه الأشياء الواجب فيها الاستعاذة والانقطاع لكن هذا عنده وسواس الاجترار فتأتي عند فكرة معينة أو مسألة معينة ييأس من معرفتها فيبقى يجترها يجترها يعيدها يعيدها طوال الوقت.

 هناك وسواس الاندفاعات: وهي اندفاعات قهرية تسيطر على المريض، يعني -أعاذنا الله وإياكم- يشعر بإلحاح قوي أنه يقفز من النافذة أو يقفز في البحر أو يقتل نفسه أو يقتل أحدًا، مثل هذه الأمور تأتي حتى على الناس العاديين لكن عندما تصبح أمرًا متكررًا، مسيطرًا، هذا يصبح وسواسًا قهريًا.

 أيضًا هناك وسواس الطقوس الحركية: **وهذا يمكن يكون أكثر أنواع الوسواس شيوعًا،** وهو القيام بحركات مستمرة متكررة نتيجة رغبة جامحة تسيطر على المريض:

- مثلًا تكرار الوضوء، يعني يمكن من أجل أن يتوضأ أن يأخذ ساعة أو أكثر.
- تكرار غسل اليد بالماء والصابون.

هذا النوع أكثر الأنواع شهرة خصوصًا بين النساء.

الآن ماذا نفعل بعد أن عرفنا كل هذه الأنواع؟ ماذا نفعل؟ طبعًا العلاج في الكلام سهل، في الواقع أن هذا يأخذ من الناس أزمنة متفاوتة.

سنبدأ بالكلام أولًا على الاستعاذة.

وهي أول وأهم الطرق، الاستعاذة من الشيطان إنما تبلغ أثرها حين تكون على اعتقادٍ جازمٍ بمعانيها.

- الخطوة الأولى: الاستعاذة.
- الخطوة الثانية المهمة: العلم.

يعني أنا من أجل أن أستعيذ كما ينبغي لابد أن أعرف ربي ومولاي الذي أعتصم به، وألجأ إليه، لابد أن أتعلم، فالعلم يدفع عن المؤمن الشبهة، فإذا علمنا أن سلطان الشيطان إنما هو سلطان نزغٍ وإغواء لا سلطان حجَّة وبرهان، وأنه قد يأتي للعبد من هذه الجهة - يعني يأتيه على أن ما يمليه عليه حجَّة وبرهان وعلم- ويفتح له آفاق، الشيطان يفتح للإنسان الموسوس هذا آفاق الدليل من الكتاب والسُّنة لكن يلبِّسها عليه، **حتى أن كثير من الحيارى يعتقد أنها حقّ وحجَّة وبرهان، وهي في الحقيقة كيدٌ ووسوسة، فصار طلب العلم والإخلاص فيه سبب من أسباب دفع الوسواس ودحضه.**

إذًا الاستعاذة تتطلب منك علمًا، وعلى رأس العلوم التي ستتعلمها "العلم عن الله"، فإذا تعلمت عن الله وجدت حصنًا حصينًا لا دخول لأحد عليك منه؛ ومن هنا تأتي الحلول الفرعية:

الحلول الفرعية على العلم

- من الحلول الفرعية المداومة على أذكار الصباح والمساء.

لماذا فرعية؟ فرعية على العلم؛ لأن مهما تكلمت بكلام وأنت لا تفهمه لن تجد أثره في قلبك.

- أيضًا من الطرق قطع الاسترسال، فكلّما قطعت فكرك واشتغلت بما يهمك كلّما كان عندك قوة على ذلك، كلّما يأس منك الشيطان.

- تحتاج أيضًا لهذا صحبة الأخيار لكن إذا صحبت الأخيار لا تكثر الكلام عن مصابك، بل انتفع من صحبتهم دون كثير شكوى لهم، ومقصدي في هذا أن تنفعك الصحبة ولا تضرّك، فربما أرادوا مراعاة شأنك فأضرّوك.

- يتفرع أيضًا على العلم: كثرة الدعاء، المجاهدة، كثرة قراءة القرآن، كل هذا متفرع على العلم.

فسيكون سؤالنا: سأتعلم ماذا؟ اتفقنا فيما سبق أن رأس العلوم "العلم عن الله" يعني الشيطان يركب الهوى الذي هو في قلبك إذا وجد قلبك فارغًا.

فما هو المطلوب الآن؟ مطلوب أن لا يفرغ قلبك من العلم عن الله.

ماذا أتعلم عن الله؟ أسمائه وصفاته نعم، لكن هل هناك أسماء أولية أتعلمها عن الله ثم أنتقل منها إلى غيرها؟ الجواب: نعم، إذا نظرت للمعوذات، وسأبدأ بسورة الناس لأنها

لها العلاقة المباشرة بالوسواس، سنجد أن هناك ثلاثة أسماء عليك أن تتقنها إتقانًا ألا وهي [رب الناس، ملك الناس، إله الناس] عليك أن تتقنها إتقانًا، إتقانًا يسبب لك دفع الشيطان وشره.

وهذا سيكون حديثنا خلال اللقاء القادم، سيكون شرحًا موجزًا لما يجب أن تعتقده في اسم الرب، واسم الملك، وإذا يسر لنا تكلمنا عن اسم الإله.

على كل حال، الاستعاذة عبادة يلزم أن يكون فيها توحيد، وأن لا يستعاذ إلَّا به، **فمن أجل تحقيق التوحيد لابد من معرفة صفات الموحد**، فإذا علمت عن صفاته سيصّح منك توحيدك له في باب الاستعاذة.

إذا تبيَّن هذا وتبيَّن هذا النوع العظيم من التوحيد -الذي هو توحيد الاستعاذة- وتبيَّن لنا الاستعاذة من الشرك والضلال، الاستعاذة من الجبن إلى آخر ما أتى في الأدعية، هذه مخاوف حقيقة تحتاج أن تستعيذ بالله منها، ومن المخاوف الحقيقة: الشيطان، استعذ بالله منه.

وهناك مخاوف وهمية أدخلها علينا الشيطان عرفنا أنواعها من الأفكار أو بالصور أو بالاندفاع أو بالسلوك، كل هذه الأنواع ورائها الشيطان الذي هو متربصٌ بالإنسان.

والقلب هو مكان هذه المخاوف وهذه السلوكيات الغير مرغوبة، فيجب عليك أن تملأ القلب بالحق بدلًا من أن يمتلئ بالباطل.

آخر وصية نوصي بها في هذا الباب:

أن الإنسان لو ابتلي بمثل هذه البلوى -الوسواس- عليه بالتصبر، والجد في العلاج، فلا الجزع ينفع، ولا ترك العلاج في مثل هذا ينفع، المهم أن تؤمن أن هذا البلاء أتى من عند الله بأسبابٍ تكون في نفس الإنسان فيسلط عليه ويبتلى به؛ والحل الآن أن تلجأ إليه

وحده، وتستعيذ به وحده من شر الشيطان إلى آخر بقية الحلول، لكن هذا كله معتمد على علمك، فنحتاج مع العلم إلى الصبر، الرضا عن الله، وأن هذا نوع من المجاهدة أنت مأجور عليه ولهذا في الآية أمرك بأن تستعيذ وأخبرك باسمين عظيمين من أسمائه من أجل أن تتصور كيف أنك بسبب الاستعاذة قريب من ربك **{وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ أنه هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}**[15].

- سميع يسمع استعاذتك فيجيبك.
- عليم يعلم ما تستعيذ منه فيدفعه عنك.

فأنت لا تعامل أي أحد! بل أنت تعامل السميع العليم، الذي يسمع استعاذتك فإذا سمعها استجاب لك والذي يعلم ما تستعيذ منه فيدفعه عنك، تكتمل إن شاء الله السورة في لقائنا القادم عندما نتكلم عن [اسم الرب – اسم الملك – اسم الإله] إن شاء الله.

بهذا نكون انتهينا من لقائنا هذا، نسأل الله أن ييسر لنا لقاءات قريبة.

[15]() الأعراف:200.

اللقاء الثاني

بسم الله الّرحمن الرّحيم

الحمد لله الذي يسر لنا هذا اللقاء وأسأله -سبحانه وتعالى- أن يجعلنا من الشاكرين المعتنين بالعلم خالصًا لوجهه، لقاؤنا اليوم إكمال لما بدأناه في شرح سورة الناس، وكان المقصد من شرح هذه السورة: الكلام عن الاستعاذة، والوساوس التي تكاد تكون ظاهرة في المجتمع، ربما سميت "الوسواس القهري" أحيانًا وربما سمّيت: "الخوف من المجهول" أو تسمّى بأحوالها "الخوف من المرض"، "الخوف من المجهول"، "الرهاب" هذه كلها داخلة ضمن أمر واحد وهو "الوسواس" الذي هو -كما مر معنا- بين فعل الشيطان وبين ضعف الإنسان، وهذه الوساوس -عافانا الله وإياكم منها- قد توصل العبد في نهاية المطاف إلى قتل النفس، ثم أن هذه الوساوس لا تعرف عمرًا فهي تبدأ من الصغر ويمكن أن تستمر إذا لم ينجح الإنسان في اكتشافها وفي معالجتها فيبقى السؤال: **كيف سأكتشف وكيف سأعالج؟**

هذا لا يأتي إلا من التمسك بحبل الله وبذل الجهد لتصحيح الاعتقاد، وإذا صحّ الاعتقاد تصورنا والله أعلم قرب الحل.

مر معنا تعريف هذا المرض وذكر مظاهره واتفقنا أن هذا المرض -الوسواس القهري- يوجد فيه أفكار واندفاعات ومخاوف وطقوس حركية مستمرة متكررة، وصاحب الوسواس يكون متيقنًا بتفاهة هذا الوساوس وأنه أمر لا يستحق ويحاول باستمرار مقاومة هذا الوسواس، وتجده في الغالب أن هذه الأفكار الوسواسية تدور حول الدين والأمور الجنسية -كما اتفقنا- تكلمنا على أن هذا الوسواس له صور فيكون هناك: وسواس الأفكار وهناك وساوس الصور والاجترار والطقوس والاندفاعات، وذكرنا أن من الأسباب المهمة التي تسبب وقوع هذا الأمر -وقوع الوسواس- : الأحقاد والميول العدائية المكبوتة التي تكون مغذية للشعور بالذنب وافتقاد الأمان النفسيّ إما بسبب طلاق الوالدين أو بسبب أن المريض نفسه تعرض للافتراق، هناك سبب مهم جدًا يتعرض له الشباب يسبب لهم هذا المرض -الوسواس القهري- وهو: ممارسة العادة السرية. في الغالب يسأل الشاب أو الشابة الذين أصيبوا بالمرض عن هذا الأمر أو يكون السبب: أن

هذا الشاب أو الشابة قد تربّوا في أسرة مسيطرة على زمام الأمور في حياتهم على كل كبيرة وصغيرة! يوجد كثير من الآباء والأمهات يكون عندهم قوة عناية واهتمام بأبنائهم فيكون ناتج هذا أنهم شديدو التدخل في صغير الأمر وكبيره، لا يعطون الأولاد والبنات فرصة في اتخاذ القرار لا فيما يأكلون أو يشربون أو يلبسون ولا وقت دراستهم، فالناتج يكون أن الأبناء يصابون بهذا الوسواس، أو بالعكس الإهمال! أي أنه إمّا السيطرة الزائدة أو الإهمال وعدم الحوار ولا يوجد أي كلام أو جواب.

ومما يسبب الوساوس: الانحراف في مرحلة المراهقة مع وجود النزعة الدينية لأن النزعة الدينية تكون أقوى ما تكون في مرحلة المراهقة وفي نفس الوقت الشيطان يكون أقوى ما يكون في هذه المرحلة، فالوقوع في الأخطاء والمخالفات تورث في المستقبل مشاعر تأنيب الضمير ويشعره الشيطان أنه ليس هناك طريق للتوبة ولا يقع في قلبه أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، فالذنوب والمعاصي تسبب لكثير من الناس الذين فيهم قوة تديّن، وساوس من جهة أن الشيطان يأتيهم فيغلق عليهم باب التوبة والاستغفار.

هذه أنواع من الأسباب لكن هناك سببًا لابد من الإيمان بوجوده وهو: الابتلاء، أي أن هذه أسباب لوجود الوسواس نعم، لكن الوسواس كما هو موضّح في التقارير العلمية أنه قد يأتي للإنسان بطريقة مفاجئة، بمعنى أن الموسوس قد يكون لم يتربَّ في هذه البيئة أو غيرها.

وأيضًا من أسباب الوسواس: أن يكون هناك عامل وراثي، قد تجد المرأة أن جدتها، عمتها، خالتها، أصيبت بهذا الوسواس فالعامل الوراثي موجود، فيكون هذا الإنسان معرض أكثر لأن يصاب بالوسواس، لكن هناك حالات كثيرة يأتي الوسواس فجأة بدون سبب سابق، فيكون نوع من أنواع الابتلاءات التي تحتاج إلى صدق توكل على الله وأكثر هذه الأنواع -الوسواس الذي فيه نوع ابتلاء- يكون وسواس في المرض، وسواس في العلاقات فيكون صاحبه عنده خوف شديد من أن يصاب بمرض نتيجة ثقافته عن الأمراض، هو كان يسمع ويقرأ ويعيش مع المرضى بصورة عادية لم يكن يخاف أو يشعر بالقلق لكن فجأة سيطر عليه هذا الخوف! فهذا في العادة يكون ابتلاء فأيًّا كان سبب مرض الوسواس، فالحل واحد. ذكرنا أسباب الوسواس وصوره من أجل أن تتصور

وتدخل فيه ما هو منه؛ لأنه يوجد كثير من الأحوال يكون الشخص مريض بالوسواس وهو لا يشعر أن هذا وسواسًا، وهذا السبب أيضًا مهم ولم نذكره وهو من أسباب الوسواس المهمة غير العامل الوراثي وغير العوامل الأخرى التي ذكرناها: أن الوسواس يكون أحيانًا ملقّن، بمعنى أن أحدًا يلقنك الوسواس، كيف يكون التلقين لهذا الوسواس؟! دعونا نتكلم عن الوسواس الحاصل في كثير من شرائح المجتمع تجاه العين والسحر، الآن أنت تلقّن في كثير من المواقف تفسير الأحداث على أنها عين أو تبقى تُخوّف من السحر فحين يلقّن الإنسان بتكرار التخويف من شيء يصبح هذا الشيء المخوّف منه بمثابة وسواس يخشاه طوال الوقت! فهذا أحد الأسباب القوية لدخول الوسواس إلى النفوس: أن يُلقّنه الإنسان طوال الوقت ويخوّف منه.

ما الحل؟ كما اتفقنا كل أنواع الوساوس ستعود وكلها حل واحد في الغالب أن الناس يتكلمون عن ممارسة الانشطة الترفيهية، الخروج والدخول لإشغال الفكر، لكن الأصل ليس هذا الأمر، الأصل تصور واضح لمسألة "الاستعاذة" ويلحقه "طلب العلم".

الآن دورنا أن نتكلم عن الاستعاذة وعن ما نعتقده ونحن نقول: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" ونحن نقول: **{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ}** ولكي أفهم معنى [رب الناس وملك الناس وإله الناس] فأنا أحتاج لذلك وحده دروسًا تتصل بفقه الأسماء؛ أفقه ما معنى هذه الأسماء، ثم ما معنى الاستعاذة بالله -عزَّ وجلَّ- بهذه الأسماء.

نرى الآن أولًا الفارق بين سورة الفلق وسورة الناس:

الشرور التي تصيب الإنسان إما تكون من الخارج وإما تكون من الداخل ولا ثالث لهما، فسورتي الفلق والناس تمثلا نوعي الشرور وكيفية دفعهما فاشتملت معًا على الحروز من الشرور كلها داخلها وخارجها، في سورة الفلق: استعاذة برب الفلق **{مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}** وهذا كله شر من خارج الإنسان.

وفي سورة الناس استعاذة من شر الوسوسة التي هي أصل الشرور من داخل الإنسان، وعلى هذا بالاستعاذة بالسورتين يحترز الإنسان من الشرور كلها سواء كانت في الداخل أو في الخارج.

سورة الناس موضوعها يدور حول الوسواس وهذا أمر كما اتفقنا مهم مناقشته ولا يستهان به وكثير من الشباب والكبار يستهينون بأمر الوسواس ويشعرون أنهم يمكنهم تخطيه لو أصيبوا به! وليس شرطًا أن يصابوا به إصابة قهرية -يصلون إلى حد أن يكون وسواسًا قهريًا- بل لابد أن يتعرضوا له، فهم يظنون أنهم في مأمن منه من جهة، ومن جهة أخرى أنه ليس بذاك الأهمية! وهؤلاء غاب عن أذهانهم أن أول معصية من البشر كانت عن طريق الوسوسة، قال تعالى: **{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا}**[16].

{فَوَسْوَسَ لَهُمَا} أي: آدم وحواء، وقال تعالى: **{فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ}**[17].

المقصد: أن من يهون من أمر الوسواس لابد أن يتبيّن له أن الوسواس من أخطر أسباب التفلت عن الدين سواء بالاستجابة له في الشهوات أو الشبهات أو بأن يكون مسيطرًا على الحياة فيفسدها ويفسد نفس الإنسان.

نبدأ الآن في الكلام حول تفسير السورة:

السورة تضمنت: مستعاذ به ومستعاذ منه.

فأما المستعاذ به: فهو الله -عزَّ وجلَّ- رب الناس، ملك الناس، إله الناس.

فذكر الله -عزَّ وجلَّ- ربوبيته للناس وملكه إياهم وألوهيته لهم، ولابد من مناسبة في ذكر ذلك في الاستعاذة من الشيطان، ولو نظرنا أولًا إلى هذه الثلاثة الأسماء ستجد في سورة الفاتحة ذكر لألوهيته سبحانه وربوبيته وملكه، ففي أول الفاتحة ذُكرت الربوبية والألوهية: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ}** ثم: **{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}**. وفي آخر سورة في القرآن في ترتيب المصحب ذُكر **{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَٰهِ النَّاسِ}** فهذه ثلاثة أوصاف لربنا -تبارك وتعالى- ذكرها مجموعة في موضع واحد في أول القرآن ثم ذكرها مجموعة في موضع آخر في آخر القرآن، فكأنه يقال: ينبغي لمن نصح نفسه واعتنى بها أن يبذل جهده في البحث عنها ويعلم أن العليم الخبير لم

---

[16]() الأعراف: 20.

[17]() طه: 120.

يجمع بينهما في أول القرآن وآخره إلا لأنه يعلم شدة حاجة العباد لمعرفتها ومعرفة الفرق بين هذه الصفات، وكما تعلمون أن كل صفة لها معنى غير معنى الصفة الأخرى فإذا تكررت في أول القرآن وآخره فقد تكررت في مواطن أخرى، كما في سورة المؤمنون، قال تعالى: {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}[18] وأيضًا في الزمر قال تعالى: {ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ}[19].

كل هذا يدلك على وجوب العناية بهذه الأسماء الثلاثة وفهمك لها سيكون سببًا لانتفاعك بالاستعاذة.

{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}

نبدأ بالكلام حول الربوبية وكيف يكون التعامل مع هذا الاسم العظيم وكيف يكون في القلب تعلق بمعاني الربوبية:

كما هو معلوم (الرب) اسم من أسماء الله -عزَّ وجلَّ- الذي تكرر وروده في القرآن كثيرًا، ورد أكثر من 500 مرة في كتاب الله.

والرب هو: المربي لعباده الموجد لهم، المربّي لهم بعد إيجادهم فهو ذو الربوبية على خلقه أجمعين فهو القادر، الخالق، البارئ، المصوّر، القيوم. فتجد أن اسم (الرب) من الأسماء الجامعة التي تجمع معاني الربوبية، وربوبية الله -عزَّ وجلَّ- تشمل العالم كله فهو الذي ربّى جميع المخلوقات بنعمه وأوجدها بمشيئته وقدرته وأمدها بما تحتاج إليه، أعطى كل شيء خلقه اللائق به، ثم هدى كل مخلوق لما خلق له وأغدق على عباده بالنعم ونمّاهم وغذّاهم وربّاهم أكمل تربية وهو -سبحانه وتعالى- الذي يحولهم من حال النقص إلى حال التمام بما يناسبهم والتربية تنقسم إلى قسمين:

- تربية عامة يدخل فيها كل مخلوق سواء كان برًا أو فاجرًا، مؤمنًا أو كافرًا.

وهذه التربية تبدأ من عند الإيجاد ثم الإمداد الدائم بالخلق والرزق والتدبير والإنعام والعطاء والمنع والخفض والرفع. فترى تدبير العالم وتسليط هذا على هذا أو منع هذا من

---

[18]() المؤمنون: 116.

[19]() الزمر: 6.

هذا أو إعطاء الملك لهذا وتوليته أو أخذ الملك من هذا وعزله أو القبض عن هذا والبسط لهذا كله من أفعال الربوبية، وكشف الكربات وإغاثة الملهوفين وإجابة المضطرين...كل هذا من أفعاله -سبحانه وتعالى-، هذا ما يخص التربية العامة.

أما التربية الخاصة فهذه تربية لأوليائه.

والتربية لأوليائه فيها مما يزيد إيمانهم الشيء الكثير فهو -سبحانه وتعالى- يبصرهم ويفهمهم ويشرح صدورهم للحق المبين، فيقال لك: هذا الطريق. وينار لك الطريق وتحمى في الطريق من أعدائك، فإذا أنعم الله -عزَّ وجلَّ- على عبد بالتربية الخاصة يسّر له اليسرى وجنّبه العسرى، يسّر له كل خير حفظه من كل شر؛ ولهذا كانت أدعية أولي الألباب والأصفياء والأنبياء في القرآن بـ (يا رب) لأنهم يعلمون أن ربهم إذا نادوه وعاملوه وفّقهم لما يحب ويرضى وأخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن آثار هذا الفهم هنا أنك وقت خوفك من الشيطان أو خوفك من الوسواس، تعلم أن لك ربًا لن يتركك بل يجيرك ويعصمك ويدفع عنك فهو ييسرك لليسرى ويجنبك العسرى، والرب -سبحانه وتعالى- من تمام ربوبيته الربوبية الخاصة أنه يسكّن النفوس ويشرح الصدور ويصلح البال ويدفع عن العبد مخاوفه فهذه كلها معانٍ تظهر وقتما تقول: أنا أعوذ. أي: أنا ألجأ وأعتصم وأتحرز وأستجير بمن أعتقد أنه مدبر لشأني ولمن أعتقد أنه معتنٍ بي، مرشدي إلى طريق الصواب، دافع عني طريق العذاب. فاسم (الرب) من الأسماء التي تورث العبد ثقة به -سبحانه وتعالى- فالعبد يقول: أنا أشهد على تربيتك لي وعلى تكميلك لي يا رب وأشهد أنك حفظتني من الشرور ودفعت عني كثيرًا من الأمور وليس لي يد في دفعها وليس لي قدرة على اختيار الصواب فيها لكن وحدك من دبّر لي ما يصلحني.

والعبد في هذا الباب يحتاج أن يجعل ذاكرته قوية، فكلّما نجّاك وأخرجك وأصلحك ودفع عنك، كل ما فعل بك هذا الفعل؛ وجب عليك أن تبقيه في ذاكرتك، لا تكن جاحدًا من أجل أن يكون في قلبك تمام حسن الظن به حين تناديه في المرة القادمة وتقول: يا رب. فأنت معك من الشواهد الكثيرة التي تدلك على أنه ربك الذي رباك برحمته وربك الذي أحسن إليك من أن كنت نطفة وخلقك وبرأك على أحسن حال، فهذه الذاكرة تسبب للعبد حسن الظن بالله لو أحسن تفسيرها، لو أحسن تفسير المواقف، هذه الذاكرة تسبب

حسن الظن بالله؛ ولهذا أنت أمرت أن تبقى لك ذاكرة، وقيل لك: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}[20]. فحين يحصل لك من نعم الله الكثيرة عليك واجبًا أن تقول: (نجّاني ربي، رزقني ربي) وكلّما جلست مجلسًا؛ أثنيت على عطائه: (ألهمني الله، أعطاني الله، وفقني الله، سددني الله) فتتكلم عن ربك ومعبودك كلامًا كله رضًا وكله حبًا فتبقى تذكّر نفسك وتنصح إخوانك بأن يجعلوه إلههم المحبوب وحده، فإذا كان ربك هو الذي ينجّيك ويعطيك ويربيك ويبعدك عن الشرور ويدلك على معالي الأمور؛ وجب عليك أن تستعيذ به؛ ولذلك موسى -عليه السلام- قال: {وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ}[21].

يأتي بعد ذلك:

{مَلِكِ النَّاسِ}

وهذا الاسم -اسم الملك- من الأسماء العظيمة التي في الحقيقة تشمل حياة العبد وهو من معاني الربوبية، أي أن الربوبية إذا ذكرتها منفردة قلت: (رب) بدون (ملك) دخل المُلك في داخلها، وإذا ذكرت (الربوبية) و(الملك) انفرد كل اسم بما له.

لما أُضيف أولًا: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} والرب هو المربي المدبر المصلح الحافظ مما يفسد، وهو سبحانه له القدرة التامة والرحمة الواسعة وله العلم التام بأحوالهم وهو القريب المجيب لدعواتهم وهو الكاشف لكرباتهم، أتى الآن إضافة (الناس) إلى (مُلكه) {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ} فمن ملكهم؟ اسم الملك المليك لله -عزَّ وجلَّ- من الأسماء العظيمة التي تسبب الحقيقة بعد فهمها انشراح الصدر وسكون في النفس ومعرفة حقيقة الحال، حالي وحالك وحال كل الخلق، فإذا كان الله هو الملك المالك المليك، فمن المؤكد أن كل شيء غيره -سبحانه وتعالى- سيكون عبدًا. فهذه حال العبيد.

---

[20]() الضحى: 11.

[21]() الدخان: 20.

إذًا الله -عزَّ وجلَّ- رب كل شيء ومليكه إذًا كل شيء سيكون عبدًا لله. وهذه العلاقة لها قوانينها علاقة العبد بسيّده ومولاه، بمالكه ومدبر أمره.

إذًا الآن تفهم أنك عبد وأن لك مالك وسيد ومولى؛ فأول الأمر تسأل نفسك: ما صفات الملك الذي يملكني وأنا له عبد؟ لأنه على أساس صفات الملك سيكون حال العبد، وتكون طمأنينة نفسه أو خوف نفسه، هل لو خاف سيهرب إلى الملك أو لو خاف سيبحث عن ملجأ غير الملك؟ فإذا نظرت إلى صفات الملك ملك الملوك -سبحانه وتعالى- وجدت أن له من كمال القوة والعزة والقدرة الشيء الكثير الذي لا تستطيع وصفه، لا يقدر قدر هذا أحد فهو القادر القدير المقتدر، والله على كل شيء قدير، فهو -سبحانه وتعالى- كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها وبقدرته يحيها ويميتها، وبقدرته يبعث العباد للجزاء، وبقدرته يرزقهم كلهم في آن واحد ويحاسبهم كلهم -سبحانه وتعالى- إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون. بقدرته يقلب القلوب ويصرفها إلى ما يشاء ويريد، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولكمال قدرته لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء، ولكمال قدرته خلق السماوات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسّه من لغوب، ولكمال قدرته لا يعجزه أحدًا من خلقه ولا يفوته بل هو في قبضته أينما كان. فإذا علمت هذه الأسماء: الملك، القادر، القدير، المقتدر. علمت أن من كمال قدرته أن كل أحد في قبضته فلا يعجزه أحدًا ولا يفوته، فأنت إذا آذاك أحدًا من مملكة هذا الملك علمت أنه تحت قبضة الملك ولا يعجزه أحدًا ولا يفوته، فهو الملك الموصوف بالعزّة وهو عزيز، أمره نافذ لا يستطيع أحد أن يعارض أمره أو أن يحتال ليهرب أو أن يحتال ليدفع أمر الله، بل هو -سبحانه وتعالى- العزيز، أمره نافذ وغالب والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون، ولذلك كان النبي يقول: **(اللَّهُمَّ أنتَ عَضُدي ونَصيري، بك أحولُ، وبك أصولُ، وبك أُقاتِلُ.)**[22].

فهو الغالب النصير -سبحانه وتعالى- وهو العزيز عزّة القوة وعزّة الامتناع وعزّة القهر، فمن عزّته أنه لا يبلغ العباد ضرّه فيضروه ولا نفعه فينفعوه بل هو -سبحانه-

---

[22]() صححه الألباني.

الضّار النافع المعطي المانع وقهره وسلطانه وغلبته على جميع الكائنات فهي كلها مقهورة له -سبحانه وتعالى- خاضعة لعظمته منقادة لإرادته هو العزيز نواصي كل الخلق بيديه لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف منها متصرّف إلا بحوله وقوته وإرادته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا به، فإذا أراد الملك العزيز أن يردّ شر أحد عنك رُدّ وإذا لم يردّ ذلك لم يحصل، فأنت الآن تتوجّه إلى الملك الذي وصفه أنه كامل القدرة، كامل العزّة، كامل القوة، قوي لا يغالبه أحد، هذه كلها من صفات الملك الذي أنت عبد له، عزيز قادر قوي وأيضًا من عجيب صفاته أن له العلم المحيط والحكمة الواسعة فهو يعلم ما يخيفك ويعلم ما يفزعك، يعلم ما ينفعك، يعلم ما يضرّك، له الحكمة الواسعة -سبحانه وتعالى- فيعطيك ما يناسبك على دقائق الأمر ومشيئته نافذة وله كمال التصرف والحكم العام في العالم العلوي والسفلي والحكم العام في الدنيا والآخرة، وفي تصرفه ترى آثار رحمته ورأفته -سبحانه وتعالى- والرأفة ترى تفاصيلها في تفاصيل حياتك، قال تعالى: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ}**[23]، **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}**[24] فلا يمكن أن تكون مقبلًا محبًا متعلقًا ثم يعاملك الله بغير الرأفة، بل انظر كما ذكر -سبحانه وتعالى- في سورة النحل من عظيم فضله على الخلق أنه خلق لهم الأنعام وقال عنها: **{وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ}**[25].

أي: من رأفة الله –عزّ وجلّ- بالخلق أن سخر لهم كل شيء في الكون ومنها الأنعام، بل من عظيم رأفته أنه -سبحانه وتعالى- لا يعاجل الناس بالعقوبات بل يمهلهم ويعافيهم ويرزقهم ويدعوهم إلى الإقلاع عن السيئات.

المقصد: أن الملك الذي أنت عبد له من صفاته أنه رؤوف رحيم، فلا يمكن أن تلجأ له وتطلب منه العوذ والحماية ثم يردك عن بابه.

---

[23]() البقرة: 143.

[24]() البقرة: 207.

[25]() النحل: 7.

إذًا إذا علمت أن الله ملك انتفعت في هذا المقام -مقام الاستعاذة- غاية النفع ويبقى في فهمك أمران:

■الأمر الأول: أنه الملك الذي له صفات الملك العظيمة وهي لله -عزَّ وجلَّ- الصفات الكاملة.

■الأمر الثاني: إذا كان الله هو الملك الموصوف بالصفات الكاملة إذًا نحن العبيد فوجب عليك وأنت تقول: {مَلِكِ النَّاسِ} أن تشعر بكمال صفاته وبتمام ربوبيتك وافتقارك إليه واضطرارك إليه –سبحانه وتعالى- في جميع شؤونك وتعلم أن لا مصلحة لك تستطيع قضاءها أو الانتفاع بشيء مما تملكه إلا بعد إذنه فلا أحد له القدرة على الخروج من ملكه ولا يوجد مخلوق غني عن إيجاده وإمداده ونفعه ودفعه ومنّه وعطائه، فالملك -سبحانه وتعالى- هو الآمر والناهي فإذا كان هو الآمر والناهي وهو المالك المدبر المصرف ولا شيء يخرج عن ملكه؛ وجب أن تلجأ إليه فتطلب منه أن يدفع عنك شر هذا العدو، هكذا تقوى نفسك وتعلم أنك تعامل من لا يخرج أحد عن ملكه وسلطانه وقهره وتطمئن أنك عبدٌ لسيدٍ كامل الصفات قوي قادر عزيز علمه محيط وحكمته كامله وسلطانه نافذ ومشيئته واقعة، وهو مع هذا كله رؤوف رحيم، فأي عبد هذا الذي يخاف من سيدٍ له هذه الصفات؟! إذا قيل لك: إن سيدك ومولاك سيرزقك، سيعطيك غدًا إفطارك وغداءك وعشاءك وسيوصلك إلى المكان الذي تريده وسيعطيك كل ما ينقص عليك كيف تبات ليلتك؟! تبات مطمئنًا، الآن لو كنت تعمل عند أحد وقيل لك هذا الكلام -تعمل لا يملكك- تعمل في مؤسسة وقيل لك: (إن طعامك عليهم وسيتحملون المواصلات ذهابًا وإيابًا وسيوفرون العلاج ويوفرون ويوفرون...) هذا الأسبوع ستقضيه مطمئنًا لأنك علمت أن هناك من يصرّفك ويعطيك ويدبرك وقد جربتهم سابقًا أنهم صادقون وأنت تثق فيهم حتى لو تأخروا تقول: (تأخروا لحكمة يريدون كذا وكذا) فكيف تطمئن لفعل الخلق وتبات مرتاحًا لأنهم وعدوك والملك المتصرف في كل شيء الذي أمره نافذ على كل شيء وسلطانه تام -سبحانه وتعالى- تستعيذ به وتلجأ إليه وتطلبه ثم تبات خائفًا؟! اعلم أن حسن الظنّ عبادة لا تنفكّ عن العبد أبدًا، وقد أشهدك الله شهادات لا حصر لها بأنه لما

خلقك على هذه الحال وجعل لك هذه الظروف والأحوال، معها أعطاك وأغناك وأقناك ومعها نجاك فما بال حالك: {أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى}[26] وما بالك تنسى فيأتي الشيطان يخيفك فحتى الاستعاذة منك بالله تكون ضعيفة! والمطلوب: أن تبات مطمئنًا لأن الملك الذي خزائنه ملأى وهو الكريم الحكيم سيعطيك حتى يرضيك ويغنيك ويقنيك لكن أحسن به الظن والجأ إليه وأنت صادق في لجوئك، فهل تظن أن ما يخيفك أقوى من الله؟! كل ما يخيفك ولو جمع الناس كل ما يخيفهم أذهبه الله ولا يبالي، لكن هذا الشيطان لوجوده حكمه ولتمكينه من الوسوسة غاية عظيمة فهو يوسوس ويدفع أهل الإيمان ليلجؤوا إلى ربهم الذي هو مصرفهم ومدبرهم وإلى مالكهم الذي له كمال الصفات وأمره نافذ فالرب المدبر هو الملك القاهر الذي أمره نافذ، فلما قيل لك: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} كان فيها إثبات أنه خالقهم وفاطرهم، خلقك وفطرك لماذا؟ كأننا نقول: لم خلقهم؟ هل كلفهم، هل أمرهم، هل نهاهم؟ نقول: نعم، فجاءت {مَلِكِ النَّاسِ} على هذا عندما يأتيك الشيطان الرجيم ويأتيك الوسواس سواء كان بسيطًا أو عظيمًا لابد أن تعلم أن خالقك وفاطرك وسيدك ومالكك كلّفك بأن تفزع إليه، تستعيذ به -سبحانه وتعالى- .

فإذًا الملك هو:

- الأمر الأول: من ثبتت له صفات الملك والخلق كلهم عبيد له.

- الأمر الثاني: أن له التدبيرات النافذة، يقضي في ملكه بما يشاء، ويحكم فيه بما يريد، لا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه، له الأحكام القدرية والشرعية وله الأحكام الجزائية؛ إذًا هو الرب الموجد وهو الملك المكلف، كلفك وأمرك وله الأمر القدري والأمر الشرعي والأمر الجزائي وله الحكم على كل شيء وفي كل شيء فلا راد لحكمه ولا معقب لأمره، فأنت إذا علمت هذا قوي قلبك أن ربك الذي خلقك وأوجدك وملكك الذي يدبرك ويقضي لك لابد أنه سيدفع عنك لو إليه لجأت.

---

[26]() العلق: 7.

ثم يأتي:

{إِلَهِ النَّاسِ}

إله الناس هو الإله المحبوب الذي لا يتوجه العبد المخلوق المكلف العابد إلا له، فكأنه يقال: أنا سألجأ وأعتصم وأنطرح عند باب موجدي وخالقي ومالكي المدبر لي الحاكم فيّ، وهذا الرب المالك أنا له مُحب، وأنا له معظم، أثق في عطائه وأعلم أنه -سبحانه- إذا تقرب إليه العبد شبرًا تقرب هو إليه ذراعًا، فجمع هذه الأسماء [الرب- الملك- الإله] وإضافتها لـ "الناس" هذا منهج لحياة للناس:

■فالمرة الأولى: أضيفت الكلمة "الناس" إلى ربوبيته المتضمنة خلقهم وتربيتهم وتدبيرهم وإصلاحهم وحفظهم مما يفسدهم.

■والمرة الثانية: أضيفت إلى ملكه فهو ملكهم الحق الذي إليه مفزعهم في الشدائد والنوائب وهو الذي يدبر لهم ليصلحهم ولا قيام لهم إلا به.

■والمرة الثالثة: أضيفت إلى ألوهيته -سبحانه- فهو إلههم الحق وهو معبودهم الذي تعلقوا به وأحبوه وعظموه ونادوه فهو ربهم ومليكهم لا يشاركه في ربوبيته ولا ملكه أحدًا وكذلك في قلوبهم لا يشاركه أحدًا -سبحانه- في الحب والتعظيم فإذا كان هو ربنا ومليكنا فلا مفزع لنا في الشدائد سواه ولا ملجأ لنا منه إلا إليه ولا معبود غيره فلا ينبغي أن يدعى ولا يخاف ولا يرجى ولا يطلب سواه ولا تذل وتنكسر وتتقرب وتتوكل وتخضع إلا له.

فأنت من المؤكد أن ما تحمله في قلبك من رجاء وخوف تشعر أنه عزيز فلا تصرفه إلا لمن يستحقه وهل يرضيك أن تتذلل وتقف بباب أحد. ثم يقال لك: أخطأت هذا لا يملك من الأمر شيئًا؟! وهل يرضيك أن تُحب فتُدفع من الباب. فيقال لك لست محبوبًا أو ليس مرغوبًا بك؟! لكن إذا وقفت عند باب ربك وهو الملك الحق والخلق كلهم عبيده ومماليكه

وأقبلت عليه محبًا وأنت لا تستغني عنه طرفة عين بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى روحك وحياتك، فأقبل عليه وأنت محب له منكسر بين يديه واستنصره على عدوك، وهو أعدى الأعداء وأعظمهم عداوة، هل تظن أنه يردك؟! ثم انظر كيف أنه -سبحانه وتعالى- كرر عليك، أي كما يعبر أهل العلم "كان الإظهار في موضع الإضمار" فقال: **{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ}**. وكان يمكن أن يقال: "رب الناس وملكهم وإلههم" لكن في ذلك كما قال أهل التفسير: "هذا التكرار يقتضي مزيد شرف للناس" فالله -عزَّ وجلَّ- عرف نفسه بأنه رب الناس، بأنه ملك الناس، بأنه إله الناس. ولولا أن الناس أشرف مخلوقاته لما ختم كتابه بتعريفه بكونه ربًا وملكًا وإلهًا لهم، وهذا كله يزيدك شرفًا وهذا كله يزيدك اكتفاء به وتركًا لغيره، فأنت عنه لا تستغني طرفة عين وهو عن الخلق كلهم مستغنٍ فأنت الذي يجب عليك أن تهرع إليه وتقف بين يديه وترجوه وتسأله وتلجأ إليه وأنت ممتلئ حسن ظنٍ به والحقيقة أن هذا أهم ما ينقصنا، فنتيجة عدم معرفتنا بربنا وسيدنا ومولانا ومالكنا وإلهنا المحبوب المعظم؛ ما أتت الثقة والمحبة كما ينبغي، فأصبحت قشرة وأقل العواصف تخرجها؛ ولهذا انظر قدم الربوبية لأنها عامة شاملة لكل مربوب، وأخّر الألوهية لخصوصها يعني كل الخلق عبيد لكنه ليس محبوب ولا إله إلا: من اتخذه إلهًا. إنما هو إله من عبده ووحده واتخذه إلهًا دون غيره، لكن من لم يحبه الحب الحقيقي ويوحده بهذا الحب معناه أنه لم يتخذ الله إلهًا.

وصفة "الملك" أتت بين الربوبية والألوهية لأن الملك هو المتصرف وهو المطاع، فالملك يأتي بعد الإيجاد والخلق، أوجدهم فكان مالكهم فملكه -سبحانه وتعالى- من كمال ربوبيته، فهل يستحق غيره أن يكون الإله؟! أليس هو الذي أوجدك وأعدك وأمدك وهو ملكك وسيدك ومولاك الذي صرفك على أحسن حال؟! لا تكن جاحدًا ناكرًا لعطاياه، واعلم أن العبد إذا أقبل انكشفت له حقائق تدبير الله له ورأفته به وإذا أدبر سيطر عليه الشيطان ووسوس له فتحول عطاء الله في قلب هذا المسيء الظن إلى منع، وتحول الخير إلى شر! فلذلك كان المطلوب أن يبقى عقلك متدبرًا متأملًا في هذه النسبة العظيمة كيف أنه وصف نفسه سبحانه أنه رب الناس وملك الناس وإله الناس، فتوسلك وأنت عائذ خائف بربك وانتسابك إليه تعالى بالربوبية والمملوكية والعبودية، هذا من دواعي مزيد

الرحمة والرأفة وأمره -سبحانه وتعالى- بذلك من دلائل وعده الكريم بالإعاذة كأنه يقال: أنت العبد الذي تعترف أن الله ربك وأن الله مليكك وأن الله هو إلهك، من المؤكد أنك بعدما تعترف هذه الاعترافات الصادقة سيكون هذا من دواعي مزيد رحمته ورأفته وتحقيق وعده الكريم؛ لأن المحب المقبل المعترف لابد أن يُنصر على العدو لابد أن يُنصر على الشيطان، فأنت اعترفت أنك انتظمت في سلك العبودية وأنك منطرحٌ بين يديه -سبحانه وتعالى- مسلمٌ أمرك محسنٌ الظن بربك، والشيطان ليس له عليك سلطان، قال تعالى: **{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ}**[27] فأنت تقرب إلى الله وكن عبدًا له العبودية الاختيارية ووعدت إذا كنت بهذا الوصف أن لا يجعل الله للشيطان عليك سلطانًا، متى؟ **{إِنَّ عِبَادِي}** عبادي الذين اعترفوا بحق الربوبية والملك وخرجوا من اعتقادهم أن الله ربهم وملكهم لأنه وحدهم المستحق لقلوبهم ومحبتهم وتعظيمهم.

على كل حال، تحتاج السورة إلى وقفة أخرى لتصور كيف أنها جمعت أسماء الله -عزَّ وجلَّ- بذكر الربوبية والملك والألوهية، أي أن ذكر هذه الثلاثة أسماء تستلزم منك دوران عقلك في كمال صفاته، التفكر الدائم فيما له -سبحانه وتعالى- من كمال، وإذا شُغل قلب العبد بالتفكر في معاني أسمائه وصفاته لم يجد الشيطان مكانًا يوسوس فيه ولا يلقي فيه أفكاره المؤذية، فأنتم تعلمون أن الوسواس يؤذي لأنه مُساكن للعبد يعني طوال الوقت يكون معه، لكن هو سيؤذيك حق الإيذاء إذا قبلته، فأنت زاحم أفكار الوسواس بالتفكر والتأمل في صفات الله، يأتينا إن شاء الله الكلام حول الوسواس الخناس ومعناه في اللقاء القادم، يكون لقاؤنا في أمرين:

الأمر الأول: كيف أن هذه السورة تجمع أسماء الله كلها.

الأمر الثاني: في معنى الوسواس الخناس وباقي تفسير الآيات.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

[27]() الحجر: 42.

اللقاء الثالث

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي يسّر لنا الأمور وأسأله -سبحانه وتعالى- أن يجعلنا من الشاكرين على هذه النعم اللهم آمين.

لازلنا نتكلم عن شرح سورة الناس واختصصنا سورة الناس بالشرح لما انتشر من الوسواس الذي يتسلط على الإنسان ويسيطر عليه وكثير من الوساوس التي تبلغ حد الوساوس القهرية يكون أصحابها في جهل تام عن كونه وسواس، فالجهل له أثر عظيم في الوسوسة، الجهل في كل شيء، الجهل في معرفة أن هناك شيء اسمه "وسواس" وأبعاد الوسوسة، هذا الجهل جعل أناس كثيرين يشخصون المرض بصورة أخرى ومن ثمّ يؤخذ علاج خاطئًا وفي الغالب يُظنّ أنّ مسًّا أو سحرًا أو عينًا أصابت الشخص وهذا كله يجعل الإنسان في حال المعالجة يعالج أمرًا آخرًا، فهذا من أهم أسباب انتشار الوسواس وعدم علاجه، نرى الآن من أهم أسباب قبول الوسواس الديني، قبوله والتمادي فيه:

سنجد أن هناك أسباب من أهمها لازال الجهل، لكن هنا "الجهل بالدين" والجهل بالدين له أثر واضح في قبول الوساوس وفي صعوبة التخلص منها، وأنا الحقيقة عدت مرة أخرى أتكلم عن الوساوس لأن الكثير من الأسئلة التي أتت بعد الدرس تدل على أن أمر الوسواس ودخوله على الإنسان -خصوصًا الوسواس الديني- لم يتضح بعد، فنقول الآن:

السبب الأول للوسوسة: الجهل بالدين، والجهل بالدين ينقسم إلى قسمين:

جهل بالفروع والأحكام الشرعية التفصيلية لكن صاحبه الموسوس يعرف القواعد الشرعية الكلية، فمثلًا يعرف أن الله ما جعل علينا في الدين من حرج، لكن انظر في رمضان حين يتمضمض مباشرة يشك أنه أفطر، فيدخل في حالة صعبة وأحيانًا يجفف

فمه بطريقة وسواسية واضحة! وهو لا يعلم أن الماء المتبقي في الفم لم يفسد الصوم، هذا محتاج بسرعة أن يعلم، لكيلا يستحكم في قلبه هذا الأمر، نقول له: هذا الماء الباقي لا يبطل الصوم، لا أثر له. هذا حل.

عندنا قسم آخر:

■يجهل الأصول والقواعد الشرعية ومن أهم القواعد التي يجهلها الموسوس: (اليقين لا يزول بالشك) هذه قاعدة أصولية شرعية كلية لابد من أنك تتعرف إلى تفاصيلها في الحياة، وإذا لم يفهم الإنسان معنى القاعدة وتفاصيلها التبست عليه أمور كثيرة، وتصور أنه يحتاط ويتورع ليدخل في الشك بدليل أو بغير دليل ويبطل أعماله، فتراه مثلًا يتوضأ لأي إحساس لخروج شيء منه، ولا يعلم أن وضوءه الذي تيقن وجوده، لا يزول بمجرد أنه شك. إنما لابد من أجل أن يزول وضوؤه أن يكون الناقض حقيقي، والأمهات يتعرضون أحيانًا لمشكلة حين يكون عندها أطفال وتحملهم فتتوضأ كلّما حملت طفلها! تقول: أخشى أن يكون هناك نجاسة خرجت منه لوثت ملابسي، وتغسل ثوبها ويديها بصورة وسواسية واضحة تتصور أنها تحتاط! مع أن الأصل أنك لا تنجسين. فهذا النوع أصعب من النوع السابق وحتى لو نبهت هذا الشخص على حكم المسألة يبقى موسوسًا، ومثل هؤلاء يتسارعون في الانتقال من وسوسة إلى وسوسة!

إذًا الجهل واحد من أهم الأسباب التي تسبب لنا ظهور هذه الظاهرة وانتشارها.

□السبب الثاني -والله أعلم في انتشار ظاهرة الوسواس- : التربية على يد جهال موسوسين، وهذا له أثر عظيم في طريقة التفكير، فالمتربّي في وسط موسوس، تحت أم موسوسة -أو أب-، ينظر إلى طقوس الأم فيتصور أنها طبيعية ويتربى هذا الطفل على خلل سلوكي، يتحول مع الاستمرار إلى وسواس، وفي **كتاب مواهب الجليل**[28] ذكر آفات للإسراف في الماء وقت الوضوء يقول:

[28]() مواهب الجليل في شرح مختصر خليل المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي.

منها قالوا إنه يورث ذلك الوسواس فلا يمكن معه زوال الشك وقد جربنا ذلك.

عندما تجد أن الوضوء بماء قليل لا يشفي قلبك معناه أنك مصاب بالوسواس، الآن هذا خلل سلوكي في استخدام الماء أدى مع الاستمرار إلى تحوله إلى وسواس بمعنى أن قليل الماء وقت الوضوء لا يصلح لهذا المتوضئ لا يراه!

السبب الثالث من الأسباب المشهورة لوقوع الوسواس: سبب حسيّ وهو ما يسمونه "اختلال في الناقلات العصبية" لكن نسأل: ما الذي يبدأ أولًا، هل تأتي الفكرة الوسواسية تسبق بالظهور والشيطان يسيطر على الإنسان ثم يحصل نتيجة تكرارها أن تتحول إلى مرض اختلال في الناقلات العصبية -وهذا يكون بسبب قبول الموسوس لفكرة الوسواس- أم العكس أن الإنسان يكون عنده مرض اختلال في الناقلات العصبية قبل الفكرة الوسواسية وبسببه يعجز الموسوس عن طرد الوساوس؟ نقول: كلا الأمرين واقع.

أي إما أن تكون الفكرة تسبق المرض والشيطان ينقل الفكرة الوساواسية ويتقبلها الإنسان بجهله أو بسبب تربيته ويعمل بمقتضاها ويتفاقم الأمر إلى أن يصبح مرضًا يصعب معه التخلص من الفكرة أو الفعل الذي يقوم به ومن ثمّ أثر هذا أن الناقلات العصبية تضعف وتختل ولذلك **ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان يقول:**

فإن قال: -يقصد الموسوس- هذا مرض بُليت به -على وسوسته- قلنا: نعم، سببه قبولك من الشيطان . سبب هذا المرض: قبولك من الشيطان.

إذا كلام ابن قيم يدل على أن الفكرة والوسوسة الشيطانية تأتي أولًا وتأتي الطاعة الاختيارية للشيطان ثم يتحول إلى مرض اختلال في الناقلات العصبية.

أو نقول بالعكس طريق آخر في أشخاص آخرين: بعض الاطباء يقولون إن دون سبب سابق يحصل اختلال في الناقلات العصبية مثل: ما يحدث الاضطراب العضوي أو يحصل الاختلال في الناقلات العصبية بسبب نفسي كالاكتئاب.

أي أن الاختلال في الناقلات العصبية ممكن أن يتعرض الإنسان لاضطراب عضوي -مرض أي مرض- فيسبب الاختلال في الناقلات العصبية.

أو يتعرض لمرض نفسي مثل الاكتئاب ويسبب اختلال في الناقلات العصبية، وهذا يعني أننا عندنا بعض الحالات يحدث الاضطراب بدون تدخل من الموسوس مما يجعله عاجزًا عن دفع الأفكار أو مقاومة الأفكار القهرية، في هذه الحالة سيكون الوسواس مرضًا يبتلي الله به العباد كسائر أنواع الأمراض، ومع ذلك حتى مع وجود الاختلال في النواقل، فالمعالجة الإيمانية هي التي تحل المشكلة لأنه عندما تضعف هذه النواقل وتكون هناك بيئة جيدة تسبب له الثقة بالله وتعلمه فتُذهِب عنه التشويش ستطرد الشيطان. لكن الشيطان جرب هذا المسكين واكتشف عجزه فنفخ فيه من الوساوس ما يطيّر به فؤاده، ويزيد محنته وبلاءه! ومعلوم أنه العدو المبين وقد ظفر بفريسة سهلة وهو لا يتركها وهي في حالة الصحة فكيف في حالة المرض؟! والله -عزَّ وجلَّ- في سورة الناس قال:

{الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ}

{النَّاسِ} : ألف و لام الاستغراق، أي: لم يستثنِ الله -عزَّ وجلَّ- أحدًا لا المريض ولا غيره.

إذًا يترتب على ما سبق أننا وقتما نتعامل مع الموسوس لا نستعمل التوبيخ بل نستعمل الرفق في التعليم ونستعمل التكرار في التعليم وفي الحديث: **(أُتِيَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- برَجُلٍ قدْ شَرِبَ، قَالَ: اضْرِبُوهُ -قَالَ أبو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بيَدِهِ، والضَّارِبُ بنَعْلِهِ، والضَّارِبُ بثَوْبِهِ- فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ القَوْمِ: أخْزَاكَ اللَّهُ! قَالَ: لا تَقُولوا هَكَذَا؛ لا تُعِينُوا عليه الشَّيْطَانَ.)**[29].

فابن حجر في تعليقه قال:

---

[29]() أخرجه البخاري (6777).

"ووجه عونهم الشيطان بذلك أن الشيطان يريد بتزينه له المعصية أن يحصل له الخزي فإن دعوا عليه بالخزي؛ قد حصّلوا مقصود الشيطان"

الآن انظر للشيطان مع الموسوس يريد من الموسوس أن يغرق في وسوسته ويتكدر عيشه. من حوله ماذا يفعلون؟ يجب أن لا يعينوا الشيطان على تحصيل مقصده من هذا المسكين، فيحتاج منك الأمر أن تجتهد كما اتفقنا في أمرين:

الأمر الأول: التعليم. أن تعلمه الأمور الأساسية والقواعد الكليةمع الرفق في التعليم.

الأمر الثاني: التكرار لنفس المفاهيم، التكرار بمعنى التكرار ولا تقل له: (ألم نتفق...، ألم نقل...) لا، بل أعِد نفس الكلام، لماذا؟ لأن الشيطان دوره هنا محو المعلومات، يقوم بعملية مدافعة لهذه المعلومات. على كل حال، علّم برفق وكرّر بصبر.

الآن اتفقنا أن عوامل وجود البيئة الوسواسية:

- الشيطان.
- الجهل.
- التربية على يد موسوسين.
- المرض.

ولذلك في مواهب الجليل نقل أهل العلم:

"أن الوسوسة بدعة، أصلها جهل بالسنة أو نقص في العقل."

وجاء في حاشية إعانة الطالبين وهو يشرح "الوسواس المذموم" قال:

"وهو ناشئ من نقص في العقل أو جهل بالدين."

يقصد بـ"نقص العقل": مرض. وهنا لا يقصد مجرد ورود الوسواس، يقول:

"فإن قلت: هذا منافي لقول بعضهم (إن الوسوسة لا تكون إلا للكاملين) مثل في الحديث لما قال الصحابة للنبي: (إننا يصيبنا في صدورنا ما لا نستطيع أن نتكلم عنه) فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- **(الحمدُ للهِ الذي ردَّ كيدَه إلى الوسوسةِ)**[30]" من هنا عرفنا أن الوسوسة لا تكون إلا لكاملي الإيمان فرد صاحب إعانة الطالبين قال:

"قلت: لا منافاة لأن الأول محمول على من يسترسل في الوسواس حتى يكاد لا تتم له عبادة والثاني محمول على من يجاهد الشيطان في وسوسته ليُثاب الثواب الكامل ."

إذًا الشيطان هو مصدر الوسوسة، والغرض إفساد حياة الإنسان، الشيطان يتسلط بالوسواس على من بدأ يستقيم على الجادة، من يقع في شباك هذه الحيلة؟ اتفقنا أنه واحد من ثلاثة: (جاهل أو تربى على يد موسوسين أو به نقص في عقله) وقد رويت أحاديث كثيرة تبيّن لك كيف أن هذا الشيطان دوره الوسوسة، وما طريقة وسوسته. وأنت تعلم أن لا غاية لمراده إلا إيقاع المؤمن في الضلال والحيرة ونكد العيش وظلمة النفس وضجرها إلى أن يتمكن من بعض الناس فيفسد عليهم دينهم كله! فمثلًا فيما روى البخاري ومسلم أن النبي قال: **(يَأْتي الشَّيْطَانُ أحَدَكُمْ فيَقولُ: مَن خَلَقَ كَذَا؟ مَن خَلَقَ كَذَا؟ حتَّى يَقُولَ: مَن خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ باللَّهِ ولْيَنْتَهِ.)**[31]

إذًا هذا يوسوس في أصل الإيمان، وأيضًا مما رواه مسلم أن عثمان ابن أبي العاص أتى النبي-صلى الله عليه وسلم- فقال: **(يا رَسولَ اللهِ، إنَّ الشَّيْطَانَ قدْ حَالَ بَيْنِي وبيْنَ صَلَاتي وَقِرَاءَتي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم :ذَاكَ شيطَانٌ يُقَالُ له**

---

[30]() صححه الألباني.

[31]() أخرجه البخاري (3276)، ومسلم (134).

خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ باللَّهِ منه، وَاتْفِلْ علَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا قالَ: فَفَعَلْتُ ذلكَ فأذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي.)[32].

أيضًا ما رواه أبو داود والحاكم في المستدرك عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **(إذا صلَّى أحَدُكم فنَسِيَ كم صلَّى، أو قال: فلم يَدْرِ زادَ أمْ نَقَصَ، فلْيَسجُدْ سَجدَتَينِ وهو جالِسٌ، وإذا جاءَ أحَدَكمُ الشَّيطانُ، فقال: إنَّك قد أحْدَثتَ، فلْيَقُلْ: كَذَبتَ، إلَّا ما سَمِعَه بأُذُنِه، أو وجَدَ ريحَه بأَنْفِه.)**.

على كل حال، هذه الأحاديث تبيّن ثبوت وسوسة الشيطان وأن غالبها في الدين وأنه يمكن أن يبتدئ الإنسان الوسواس والشيطان يكمل عليه! هذا ما ذكرنا في الوسواس القهري المتصل بالأمور الدينية، أيضًا هناك وسواس من الشيطان لكن في النظافة من تكرار إغلاق الباب أو الخوف من المرض! وهذا كله من الشيطان، قال تعالى: **{إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا}**[33] بمعنى أن من أهم أهداف الشيطان: أن يدخل الحزن في قلوب المؤمنين لشغلهم وصدّهم عمّا ينفعهم في دينهم ودنياهم وأهم شيء في الأمر: إضاعة وقتهم وسوء ظنهم بربهم. وهذا أكثر شيء يوصل الشيطان إلى مراده، الوسواس يدخل عل القلب من الأحزان ما لا يعلمه إلا الله؛ ولذلك دائمًا مع الوساوس يكون هناك اكتئاب، وقد كان الشيطان يزين للمنافقين واليهود أن يتكلموا سرًا فيما بينهم أمام المؤمنين ليدخل الحزن على قلوب المؤمنين. يأتي أحد يقول: (هذا لو كان للمؤمنين، لكن الوساوس تصيب غير المسلمين!) نعم، الشيطان يتسلط على غير المسلم، يأمره بالمعاصي ويزيد إضلاله وصده عن سبيل الله وقد توعد بذلك أن يضلّهم ويمنّيهم ولذلك في سورة مريم، قال تعالى: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا}**[34] أي: تزعجهم إزعاجًا من الطاعة إلى المعصية، وقد حدثتني أحد الداعيات في إحدى الجاليات أن ممرضة كانوا يعرضون عليها الإسلام وعندها طفل صغير ما تعدى السنتين

---

[32]() أخرجه مسلم (2203).

[33]() المجادلة: 10.

[34]() مريم: 83.

وهم في المكتب -يعرضون عليها الإسلام- أخذ طفلها يصرخ بكل صوته يجذب أمه ويشغلها بصورة تلفت النظر إلى درجة أنه حين تأتي في كلام المرشدة التي تدعو الأخت إلى الإسلام كلمة: (لا إله إلا الله) كان يضع إصبعيه في أذنيه! وكانوا ثلاث داعيات فألهم الله إحداهن أن تمسك الطفل وتؤذن في أذنه وتقرأ آية الكرسي فيقولون -والله أعلم بالصواب- إنه تحول تحولًا عظيمًا ولزم الهدوء والحمد لله ما خرجت إلا وهي ناطقة للشهادة. فلله الفضل والمنّة أن قوّى أهل الإسلام على غلبة الشيطان وعلى إرشاد الناس إلى طريق الصواب، أسأل الله أن يقوّي كلّ من دعا إليه -وخصوصًا من دعا أهل الكفر- ، أسأل الله أن يشرح صدور العاملين في هذا المجال وفي غيره من مجالات الدعوة أن يشرح صدورهم وأن يثبتهم وأن يفتح عليهم ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، ويرزق هذا الباب من الدعوة من يدعمه بدعائه أولًا ثم بقليل المساعدات سواء كانت العينية أو المادية لهذه المكاتب لأن الداخلين في الإسلام يفرحون بأقل القليل.

المقصد: كنا نستشهد بقوله تعالى في سورة مريم: **{تَؤُزُّهُمْ أَزًّا}** أي: تدفعهم دفعًا، فالشياطين لا تكتفي بإضلال الكفار بفعل المعاصي إنما تغريه في التنقل من مصيبة إلى مصيبة أعظم.

مر معنا الكلام حول صفة الشخص الذي يتسلط عليه الشيطان، نتكلم اليوم عن هذا الأمر بشيء من التفصيل وسأنقل لابن القيم في إغاثة اللهفان كلامًا يبين لك صفة الشخص الذي يتسلط عليه الشيطان يقول:

"ومن كيده العجيب: أنَّهُ يشام النَّفس حتَّى يعلم أيّ القوتين تغلب عليها: قوَّة الإقدام والشَّجاعة، أم قوَّة الانكفاف والإحجام والمهانة.

فإنْ رأى الغالب على النَّفس المهانة والإحجام أخذ في تثبيطه وإضعاف همَّته وإرادته عن المأمور به، وثقله عليه، فهون عليه تركه، حتَّى يتركه جملة أو يقصر فيه ويتهاون به.

وإنْ رأى الغالب عليه قوَّة الإقدام وعُلُوّ الهمَّة أخذ يقلل عنده المأمور به ويوهمه أنَّهُ لا يكفيه وأنَّهُ يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة.

فيقصر بالأوَّل ويتجاوز بالثَّاني، وقد اقتطع أكثر النَّاس إلَّا أقل القليل في هذين الواديين: وادي التَّقصير، ووادي المجاوزة والتَّعدي، والقليل منهم جدًّا الثَّابت على الصِّراط الَّذي كان عليه رسُول الله صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فقومٌ قصَّر بهم عن الإتيان بواجبات الطَّهارة، وقومٌ تجاوز بهم إلى مجاوزة الحدّ بالوسواس."

المقصد: أن الشيطان ينظر لك إذا كان الغالب عليك الإقدام وعلو الهمة والعناية والاهتمام ماذا يفعل بك؟ ينزعك إلى المجاوزة والغلو، إذًا معنى ذلك أمرين:

الأمر الأول: أن الناس مختلفين في الاستعداد الشخصي في تقبل الفكرة الوسواسية والشيطان يلقي إلى الإنسان ما يناسب هذا الاستعداد.

الأمر الثاني: أن الشيطان يركز على المُجِد فيلقي عليه الوساوس التي تجعله يعاق عن العمل.

وهذا أمر ملاحظ أن الناس الذين عندهم شيء من الجد والحرص وحب الاستقامة يأتيهم الشيطان من كل مكان بالوساوس، سواء ما يتصل بأعمالهم أو ما يتصل حتى بالناس المحيطين بهم، فترى أحدهم بعدما كان محبًا لمعاملة الناس ولدعوتهم وللاجتماع بهم لنفعهم، تجده تسيطر عليه أفكار إنهم يحتقرونك أنهم بعدما تخرج من المجلس يتكلمون عنك، أن كلامهم هذا الذي يدل على أنهم يقبلون منك كل شيء وأنك محترم كله كذب! فهذا يجعل الشخص في عزلة فيسيطر عليه الشيطان أكثر.

المقصد: أن هناك شخصيات مستعدة لقبول هذا الوسواس، أكثر ما يؤخر المرض: عدم معرفة تفسيره والاتجاه في تفسيره إلى جهات لا ينبغي التفكير بها، مثلما اتفقنا أن كثيرين يظنون في الوسواس أنه مسّ من الشيطان، أو أنه عين أو سحر.

الآن ماذا سنفعل بعدما تبينت لنا أوصاف هذا الشخص الذي يمكن أن يصاب بمرض الوسواس؟ ما السلوك الملائم؟ المسألة تنقسم إلى قسمين: قسم من جهة المريض. قسم من جهة من حوله.

ذكرنا فيما سبق: التعليم برفق والتكرار أمر مهم، نأتي نقول: المريض نفسه يحتاج إلى عدة أمور لابد أن يعرف الحقائق، بمعنى أن هذا المرض يحتاج أن يسمّى له باسمه يقال له: هناك مرض يسمى الوسواس القهري، وهذا الوسواس أصله صوت خفي وغالبًا الوسواس يكون في الشر والشيطان يكون أهم عوامله، والذي وقع عليه فعل الوسوسة يسمى "موسوس" وهذا الوسواس يمكن أن يكون مبتدأه من الشيطان وممكن يكون مرض نتيجة ضعف الناقلات العصبية ومصطلح "وسواس قهري" يتضمن أن هناك كلامًا خفيًا غير نافع متكرر لا يستطيع صاحبه أن يدفعه بسهولة، وهو حالة تعتري الإنسان فتهجم عليه أفكار مزعجة لا يستطيع الخلاص منها أو تجعله يشك في أفعاله أو يعمل أعمالًا بمقتضى الأوهام ويأتي الشيطان فيأخذ جهة معينة مثل: الدين، الصحة، العلاقات الاجتماعية.

فالوساوس خواطر، تمر، تُزعج، لا تستقر، إنما تلحّ في العرض والمصاب يشعر أنها ليست صحيحة، لكنه لا يستطيع تفسيرها. فكل هذه الأمور لا بد أن تُفسّر له بوضوح، ويفهم أن الوسوسة من فعل الشيطان، وأنها ليست من كسب الإنسان ولا من صنعه؛ لذلك يتوهم الإنسان أنه من نفسه فتجدهم يقولون: (نريد أن نتخلص من أنفسنا، نبغض أنفسنا!) وهذا كله انحراف عن العلاج، وعلى هذا الإنسان أن يقاوم ما استطاع إلى ذلك سبيلًا والالتجاء إلى الله. والوساوس لا يخلو منها أحد لكن مقدار الاستجابة هو الذي يحولها من مجرد وساوس إلى وساوس قهرية، وكثير ممن يظنون أنهم يفهمون أو يدركون المسائل على حقيقتها يكونون مصابين بهذا المرض، فيكثر من يقول لك: (لا تتعامل مع هؤلاء فهم يبطنون السوء، لا تتعامل مع هؤلاء فهؤلاء مستهزئون، ولا تَزرْ هؤلاء الله أعلم بما في بيوتهم!) كل الناس عنده سيئين وهو فقط الطيب! هذا نوع من

الوسواس؛ ولهذا تجد أن قوانين وضعت للموسوسين يرون أن من لم يطبقها ليس بتقي أو صالح أو ورع! فهذه أيضًا مشكلة.

المهم أن دورك أن تبين لهذا المريض ما معنى كلمة وسواس بالتفصيل وأضِف إلى هذا أن تبين له الفرق بين الوساوس والشك والورع، الفرق الأساسي بينهم: أن الوساوس لا تستند إلى دليل مقبول في العقل والشرع بينما ما يكون فيه شك وورع دليله مقبول، والشك له علامة، أما الوسوسة ليس لها علامة، وفي حاشية إعانة الطالبين قال:

كترك ثياب من عادته مباشرة النجاسة كثياب الجزار التي تتعرض للتلوث بالدم والاحتياط هنا مطلوب.

مثلًا جزار يريد أن يذهب إلى الصلاة بعد عمله فيغير ثوبه. هذا موطن شك والورع والاحتياط هنا مطلوب منه.

أما الوسوسة فإنها الحكم بالنجاسة من غير علامة بأن لم يعارض الأصل شيء، كإرادة غسل ثوب جديد أو اشتراه احتياطًا.

إذًا كثير من الموسوسين يختلط عليهم أمر الوسوسة مع أمر الورع فأنت بيّنه بوضوح وأخرج منه هذه المشاعر الجيدة التي يطرد بها وسواسه فيقول: (هذا ورع) أو أحيانًا يتهم الناس باتهامات عظيمة ثم يقول: (هذا من تجربة!)

هذه أول خطوة نقوم بها، هناك اتفقنا على التعليم وبرفق وتكرار، نفصل في هذه الخطوات بأن:

- أفهمه أصلًا أن هناك شيء اسمه وسواس، وهناك فرق بينه وبين الورع والشك.

- نأتي أيضًا ندعمه بكلام يخلّصه من اللوم لأن كثير من الناس يلومونه يقولون له: (ضيعت نفسك، أخفقت...إلى آخره. يأتي أحد مثلًا وسواس في المرض ولا توجد أي

علامة على أنه مريض بهذا المرض، هذا ليس شك، وطول الوقت يتحسس نفسه ويقيس درجة حرارته ثم ينفق أمواله في المستشفيات ذهابًا وإيابًا ويقوم بعمل فحوصات وتحاليل دورية ما يضيع معه حقوق، ودائمًا يقول: (لا بد أن أجعل لي رصيد في البنك، أخاف لو مرضت ألا أجد علاجًا) هذا يسبب له من الخارج كثرة اللوم أنت أضعت نفسك، أضعت شبابك، أذهبت قدراتك. نحن كداعمين له علينا أن نخلصه من هذا اللوم، ونبين له أن هذا ابتلاء من الله والشيطان تسلط عليك فتحتاج أن تجاهده.

وتأتينا الآن مسألة التكرار: لا تسيء الظن بالله، لا تتصور من الله إلا خيرًا لا يأتي من رب الخير إلا الخير.

فيكون دورنا أن نخلصه من اللوم ونمنع عنه الغضب أيضًا، ففي كثير من الأحيان يكون الموسوسين في حالة من الغضب ويكون غضب الموسوس وشدة حساسيته من المحيطين سببه مشاعر أن الناس يكذبونه، لا أحد يصدقه، يكون يشعر بالآم في بدنه لكن كل طبيب يقول: (ما بك شيء!) لذلك يناسب هؤلاء أن يأتيهم أحد يقول: (أكيد فيكم عين، أكيد فيكم سحر!) ولأن مقاييس مثل هذه الأمور غير حسيّة يمكن أن يدخل الإنسان في دوامتها فيضيع تمامًا، ويخرج إلى باب آخر! الحقيقة يكون مهلكًا له، فمن المساعدات أن لا ينظر هذا الموسوس إلى أي برامج حوارية أو كتب فيها عرض للمشكلة التي يوسوس فيها، مثلًا هو عنده شبهة في مسألة دينية فلا يصلح له أن يفتح برنامج حواري فيه أحد يعرض هذه الشبهة وآخر يرد عليها؛ لأنه لن يسمع إلا الذي يعرض الفكرة!

ولا تعطِه كتابًا يتكلم عن أعراض المرض الذي هو موسوس أنه مريض به؛ لأن الشيطان سيترجم الأعراض على بدنه ترجمة سريعة! مثلًا يقال: (إن مريض كذا يشعر في الآلام في جنبه الأيسر، أسفل رئته، قريب من أمعائه) فتجد هذا بالضبط في هذا المكان يشعر هو بالآلام! فيكون المستفيد من كل هذه المعلومات الشيطان فيسيطر عليه! فلابد أن يُنتقى لهذا المريض ما يقرأ، فلا تعطِه كتابًا تريد منه أن يتضح الأمر عنده

والكتاب يكون فيه ملابسات كثيرة؛ لأنه ماذا يفعل؟ يأخذ من الكتاب ما يزيد البلاء على نفسه! إذًا المطلوب منا أن نقوم بعملية محاصرة فكرية بصورة معينة.

الآن نحتاج أيضًا إلى علاجه، أن نبيّن له كيف أن هذه الأفكار تصل إلى حد أن تكون وسواسًا لأنه يتحول من نوع إلى نوع، يعني صاحب الوسواس القهري حين يسيطر عليه المرض يمكن أن يتحول من نوع إلى نوع! مثلًا تجده يوسوس في الوضوء والصلاة، يوسوس في الناس، في المرض، لكن ليس مرة واحدة يجمع هذا كله، فأنا أبيّن له مرضه وأنه مصاب بكذا وكذا ثم أبيّن له كيف تدخل عليه هذه الأمراض؟

يبدأ الوسواس بصورة أو بفكرة أو برغبة تقفز إلى العقل فتسبب اضطرابًا أو إحساسًا بالخجل أو الذنب أو الخوف وغالبًا تكون هذه الأفكار إما عدوانية أو كفرية أو جنسية أو مرضية، فيستسلم ويبدأ الشك في الشيء المعين! مثلًا الرجل يحب أولاده، فجأة تأتيه فكرة أن يضرهم، وأحيانًا يكون سبب الفكرة أنه قرأ في الجريدة أن شخصًا ضرّ أولاده، إذا في هذه اللحظة لم يستنهض نفسه كلها للمدافعة والاستعاذة يأتي التكرار، وحين لا يعالج هذا التكرار ولا يطلب من الله ولا يلجأ ولا يقف بين يديه ولا يتذلل له، يبدأ يسيطر وأنت اليوم تسمع كثير من الفتيات وتكون محصنة طاهرة في بيت محافظ ثم تأتي تقول: (أنا عندي خوف وأريد قبل عقد القران أن أذهب إلى الطبيبة لأني أخاف أن لا أكون بكرًا!) جاءتني إحداهن تريد أن أعينها على الذهاب بدون علم أهلها، فأخذت أسألها: هل تعرضت لكذا أو كذا؟ فقالت إنها لم تتعرض لأي شيء، وكنت أول مرة أتعرض لوسواس من هذا النوع، فقلت في نفسي: (ربما عندها سبب لكن لا تريد أن تعترف) فأخذتها بعلم أهلها -لكن بدون أن تعلم هي أني أخبرتهم- فقامت بإجراء الفحوصات اللازمة؛ فكانت بكرًا. ثم عادت مرة أخرى بعد تحديد موعد الزفاف تقول: (لا أستطيع أن أشتري أي شيء، ما زال عندي شك، أخاف أن يرجعني لأهلي، الأحسن أن أبقى مستورة ولا أفضح والديّ!) فتبيّن أنها موسوسة، تشك في تقرير الطبيبة الأولى! المهم أن مثل هذه الأفكار تكون تسربت لها بتجربة صديقة لها أو بشيء رأيته والتقطته أو

بكلام سمعته في بعض المجالس، فقفزت إليها الفكرة وهي استجابت لها، ثم تكررت عليها الفكرة وأصبحت وسواسًا.

المريض الآن لا بد أن يتصور هذه الصورة، من أجل أن لا يقبل أفكارًا جديدة فيقع فريسة للشكوك والمخاوف! وأثناء مراحل الحياة تمر على الإنسان أنواع من الوساوس لكن تمر ولا يضخمها ولا يكبرها ولا يعاملها وأكثر وقت في يوم الإنسان يكون خطير بالنسبة للوساوس هو ما قبل النوم وما بعد اليقظة مباشرة هذان أخطر وقتان لممارسة عملية الوسوسة ثم تأتي بعد ذلك المواقف المثيرة.

هذا الكلام الذي ذكرناه موجّه إلى الأشخاص الذين حول المريض، نقول لهم: المريض يحتاج إلى بيان الأمور الغامضة عليه؛ فساعدوه بقدر ما تستطيعون المساعدة ثم اطلبوا منه أن يلزم ذكر الله، لأن لزوم ذكر الله يملأ قلبه بالإيمان يجعله يقرأ القرآن وهو يفهم ما يقرأ ويعيش ما يقرأ كلموه عن الله وعن كمال صفاته كلامًا تلاحظون فيه أن تأتي بما ينفعه، مثل: شرح اسم الوكيل، اسم الكافي.

فنحن محتاجون إلى تصحيح عقيدة الشخص وإلى ملء قلبه بصور وحقائق تكون مرجعًا له وتتصارع إلى فكره أول ما يفكر لأن المشكلة أنه لما سيطرت عليه الفكرة الوسواسية، لا يوجد في قلبه صور أخرى تتصارع. فما هو الصراط المستقيم الذي يجب أن يسير عليه؟ هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات ثم يأتي بعدها أمور ظاهرة من أقوال وأعمال، الأمور الظاهرة والباطنة بينهم ارتباط، ما يكون في القلب من الشعور والحال والصور يوجب أمورًا ظاهرة، فالمطلوب منك الآن أن تملأ قلبه بحقائق عن الله، لكي يجد قلبه ممتلئًا بالعلم عن الله وقتما يريد أن يسترسل في وسواسه فتدفع هذه الحقائق عن الله مثل هذه الوساوس.

على كل حال، الموضوع يحتاج إلى نقاش أكثر من ذلك؛ لأن الناس إمـا موسوسون وإمـا معالجون للموسوسين.

اتفقنا لكي أعالجه:

سأعلمه حقيقة الوسواس وأن هذا حاله، المرض الذي أصابك هذا معناه، والشيطان أهم عامل فيه، ثم مع تعليمه هذا الأمر وبيانه له:

أبذل جهودي أن أدفع عنه اللوم وأشعره أن هذا أمر خارج عن إرادتك لكن العلاج موجود، هي خواطر تحتاج منك أن تجتهد، فأدفع عنه اللوم وأمنعه من الغضب قدر ما أستطيع وأقول له: (كلّما زدت غضبًا عن أحوالك وأحوال الناس حولك؛ كلّما قوي عليك الشيطان).

أيضًا يحتاج أن أملأ قلبه بمفاهيم صحيحة وصور صحيحة ومحفوظات يقينية -يقينية أي ليست أشياء يحفظها ولا يفهمها، بل يكون ممتلئًا بها- فنبدأ بالكلام عن أسماء الله التي لها صلة بما يعاني منه، مثلًا: عنده قنوط من رحمة الله، عنده مشاعر وسواس أنه من أهل النار -والعياذ بالله- هذا يحتاج أن يمتلئ عقله صورًا عن رحمة الله.

مثلًا عنده إحساس أنه مصاب بالمرض؛ كلّمه عن اسم الله: الكافي والوكيل والشافي، خائف من المستقبل نفس الأمر.

إذًا العلاج أن أملأ عقله صورًا صحيحة بأن أتكلم عن أسماء الله وعن مفهوم الكمال في الشريعة وأن الإفراط ممنوع؛ لأنه يأتينا في وسواس الطهارة المريض يقول: (أنا أغسل ثيابي كلّما دخلت الحمام لأني أخاف أن تصيبها النجاسة دون أن أعلم، وأحب أن أفعل الأكمل والأحوط!) نقول له: (إذا كنت تخشى على نفسك من تلوث ثيابك، فالعلاج ليس أن تغسلها، لا تغسلها إلا إذا تيقّنت.) يقول لك: (كيف تدعوني إلى عدم اتخاذ الحيطة) الآن نجيبه ببيان مفهوم الكمال الشرعي، نبيّن له أن هذا تنطع وإفراط؛ لأن هذا فيه زيادة عما فعله النبي، ومُعاذ أن يكون فعلك أكمل من فعل النبي -صلى الله عليه

وسلم- ونقول له حديث الثلاثة رهط الذين أتوا إلى بيوت النبي يسألون عن عبادة النبي -صلى الله عليه وسلم- وتقالّوها، سيقول لك: (سأحاول لأن عندي رغبة شديدة للقيام بالفعل من أجل أن أصل إلى الكمال الذي أحبه) فأبين له بتكرار أن هذا ليس كمالًا.

أيضًا تحتاج أن تملأ قلبه وعقله وتكرر عليه قاعدة: "إن التكليف بالفعل متعلق بالقدرة عليه" مثالًا: يأتي لك مريض يقول: (أريد أن أصلي، أبدأ وأكبّر، ثم أشعر أني ما كبرت جيدًا وأن نيّتي ليست صحيحة، وأظل أعيد التكبير عدة مرات!) ماذا تقول له؟ تقول له: اِئْتِ الصلاة وكبّر للمرة الأولى، ثم إذا حدثتك نفسك أنك لم تحسن؛ فلا تهتم؛ لأن التكليف بالفعل متعلق بالقدرة، بمعنى أنك تقول لنفسك: (أنا لا أستطيع أن آتي بها أحسن من هذه الحال، وإذا ما كان عندي قدرة على إتمامها على الوجه الأفضل؛ فأنا لست مكلفًا بأكثر مما أفعله وصلاتي صحيحة وانتهى الأمر.)

أيضًا املأ عقله بهذه القاعدة المهمة: "إن اليقين لا يزول بالشك" يأتي أحد يقول: (غسلت ثيابي أمس لكن لا أدري ربما أصابتها نجاسة، فالأفضل أن أغسلها ثانيًا من أجل أن أزيل الشك الذي في قلبي) أقول: (لا تعمل بهذا، وهذا الشك لا يؤثر في صلاتك؛ لأنك متيقن بالطهارة وشاكّ في النجاسة واليقين لا يزول بالشك) نقول: (ليس هناك علامات تدل على النجاسة، أين العلامات التي تدل على أن ملابسك تنجست؟ فمادام لا توجد علامة؛ إذًا هذا شك، والشك لا يزيل اليقين.)

على كل حال، لو ابتليت بموسوس حولك، من الضروري جدًا أن يكون عندك شيء من تحمل مسؤوليته لأن الشيطان حين يراه خاليًا من المعينين يزيده ضعفًا وينوّع عليه أنواع الوسوسة، والحقيقة أننا وقفنا على أحوال، أصحابها تعرضوا لمحاولات للانتحار! وهذا الذي جعل هذا الأمر النقاش فيه مهم، وأيضًا لابد أن تعرف أن كثيرًا من الناس مصابين بالوسواس وهم لا يشعرون يعني تأتي تسمعه يقول: (أنا اشعر بكذا، أنا عندي إحساس أن هؤلاء الجماعة يكيدون، أن في العمل ينتظرون أي شيء يحصل من أجل أن يستبعدوني) أعرف حالة لشاب متفوق ناجح، حصل على عمل في توقيت زملائه جميعًا

لم يحصلوا على عمل، المكان الذي هو فيه لم يكن يُنتظر لمثل...عوامل كثيرة، ماذا حدث له بعدما كان مُجدًا نشيطًا؟ بدأ يشعر أن عينًا أصابته وأن شيء يدبّ في بدنه...نهاية الأمر أنه الآن يعتزل تمامًا كل شيء وكل أحد متعذرًا بأن عينًا أصابته فشلّته عن العمل! نقول: (لا بأس إذا كانت عين تعالج، اقرأ على نفسك، قاوم) وأهله يذكرون أنه أتاه أشخاص صادقين وقرؤوا عليه وبيّنوا له أنه ما به شيء، لكن مثل هذا حين يقاوم وسواسًا يكون ضعيفًا في الغالب، يحتاج أن يفهم أن هذا تشخيص مرضه، إذا عندنا مشكلة أخرى الآن: أن كثيرًا من الناس مصابين بوسواس العين والمس والسحر وهم يظنون أن مثل هذا حقيقة، وسأضرب لكم مثالًا من أعجب الأمثلة:

شاب يتدرب في أحد برامج ألعاب القوى، وهو متوسط البنية ليس قويًا، وعنده حرص شديد على التدريب -تستعجب من حرصه- فيقول لوالدته في نقاش: (أنا أستعد لهؤلاء!) طيب مَن هؤلاء؟ هؤلاء لا تعرفهم! ماذا يفعلون؟! أين وجدتهم؟!...فالولد سنتان وهو تحت وسواس أن هناك من يلاحقه وحين يكون في السيارة تلاحظ أمه أنه يلتفت لكنه صامت! ما أحد شعر به بعد سنتين من الوسواس هذا الشاب أخذ اتخاذًا عكسيًا في العلاج، صار مفرطًا في العناية ببدنه وبألعاب القوى من أجل أن يكون مستعدًا للقتال حين يهاجمه هؤلاء! وتقول الأم: (وضع لنفسه خطة طويلة استعدادًا للحرب هذه) وكان في تصوّر أهله أنها مجرد هواية وأنه يريد أن يدخل مسابقات، ثم تبين أنه مصاب بالوسواس وأنه من الداخل فيه من الضعف والخوف ويحذر من الخروج إلى البر، ويخاف من أن ينفرد ولا يكون معه أدوات للدفاع! نعوذ بالله من الشيطان الرجيم!

فانظر لأنواع الوسواس التي دخلت على شبابنا، فرغت قلوبهم من تصور الحق فملأها الشيطان بالباطل.

انتهى لقاؤنا، إن شاء الله على وعد أن نتكلم عن العلاج الفاصل لأن ما ذكرناه مجرد بيئة للعلاج لكن في النهاية لا بد أن تشعر أنك -أنت المعالج أو المريض- قوي وعزيز بعزة الله.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الفهرس

اللقاء الأول 2

اللقاء الثاني 25

اللقاء الثالث 39